من هدي الإسلام

٧

منهاج التربية الصالحة

بقلم
فضيلة الأستاذ
أحمد عز الدين البيانوني
رحمه الله تعالى

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

مِنْهَاج
التَّرْبِيَةِ الصَّالِحَةِ

مِنْ هَدْيِ الإِسْلَامِ
٧

مِنْهَاجُ التَّرْبِيَةِ الصَّالِحَةِ

بقلم
فضيلة الأستاذ
أحمد عز الدين البيانوني
رحمه الله تعالى

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م
الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م
الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة .... ﴾[١] .

وقال رسول الله ﷺ :

« أدّبني ربي فأحسن تأديبي »[٢] .

---

(١) التحريم .

(٢) رواه العسكري في الأمثال .

عليها .. أو بعبارة أوجز : أن يعرف كيف يدعو ؟ وكيف يبلغ ؟ إذا أدركت معي أن هذا كله أمر لازم لابد منه فى تكوين الداعية وإعداده .. فعليك أن تدرك أن من اللازم والضروري كذلك إعداده وتعليمه كيف يدرّس ؟ وكيف يخطب ؟ ، وكيف يحاضر ؟ ، وكيف يحاور ؟ .. إلى غير ذلك من هذه المواقف التعبيرية ، والمواطن الكلامية ..

ومن المؤكد أن الداعية إلى الله حين يملك عقلاً يفكّر ، وبياناً يصوّر ، ولساناً يعبّر .. يكون قد وصل إلى أوج النجاح ، وقمة التوفيق في دروسه ومقالاته ، وخطبه ومحاضراته وأحاديثه ومحاوراته .. بل يملك في تعبيره قلوب الجمهور ، وتكون بضاعته في الدعوة تجارة لن تبور ، بل يسحر في حديثه الأسماع والعقول ..

وها أنا ذا سوف أعدد أهم مواقف الداعية التعبيرية والبيانية ليكون الكلام عنها مستوعباً شاملاً إن شاء الله ، ولعلها تكون للأخوة الدعاة تبصرة وذكرى وعلى الله قصد السبيل .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين مُرَبِّي عباده بالرأفة والرحمة ، والشدة والنقمة ، وهو العليم الحكيم .

والصلاة والسلام على سِيدنا محمد ، القائل : « ادّبني ربي فأحسن تأديبي » فكان صاحب الشمائل الكريمة ، والخلق العظيم .

ورضي الله تعالى عن الآل والصحابة ، الذين تربَّوا في حجر النبوة ، فكانوا خير القرون ، بشهادة نبيهم الكريم .

وعن التابعين وتابعيهم على منوالهم السليم ، ومنهاج الدين القويم .

وبعد : فقد خلق الإنسان مفطوراً على التقليد منذ طفولته ، يقلد الطفل أمه وأباه ، وأخته وأخاه ، ومن خالطه ورباه ... في كل قول وفعل ، وحركة وسكون ... وذلك مشاهد بالعيان :

فكم نرى الطفل ينبطح إلى جانب أبيه وهو ساجد يصلي ، والطفلة كذلك إلى جانب أمها ، وهي ساجدة تصلي ، يقلدانها في أعمال الصلاة ، يركعان معهما ويسجدان ، ويقومان ويقعدان ، تقليداً بحتاً قبل سن التمييز !

وكم نرى أطفالاً يقلدون كبيراً ـ قريباً أو بعيداً ـ رأوه يدخن ، فيلفون أوراق التقويم ، أو ما يقع في أيديهم مما يشابهها فيجعلونها مثل « سيجارة »، وقد يشعلون طرفها ، متوارين عن آبائهم وأمهاتهم ومربيهم ، ويجعلون طرفها الآخر بين شفاههم ، يقلدون المدخن فيما يفعل !

وكم يقلد الطفل معلمه في أقواله وأفعاله ، وحركاته وسكناته ، وأمره ونهيه !

ومثل هذا كثير في طبيعة الأطفال ، يراه منهم من خالطهم ورباهم .

فإذا منح الطفل أبوين مؤمنين عاقلين ، حكيمين فاضلين ، تقيين صالحين ، ربياه على الخلق القويم والنهج السليم ، وحب الدين والفضيلة ، ثم إذا واتته المقادير ، فساقته

إلى المعلم الصالح ، والمربي القويم ، والموجه الصالح .. نشأ على أحسن الأخلاق ، وأزكى العادات ، صحيح العقيدة ، صادق التدين ، مستقيم السيرة ، طيب السريرة .

وإذا لم ينشأ الطفل في أسرة متدينة ، ولم يحظ بالمعلم الصالح ، نشأ على العكس ، سيء الخلق ، فاسد الطبع ، بذيئ اللسان ، معوج السبيل .

فالطفل صحيفة بيضاء نقية في أيدي أبويه ومن يربيه ، فإذا نقشوا فيه صالحاً ، نشأ صالحاً ، وإن نقشوا فيه سيئاً فاسداً ، نشأ على السوء والفساد .

من أجل هذا أرسل الله تعالى الرسل الكرام ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وجعلهم معصومين متحلين بالفضائل ؛ ليكونوا قدوة صالحة ، وأسوة حسنة ، يقتدي الناس بهم ، ويعملون بشرائعهم ، ويتخلقون بأخلاقهم .

وقد جعل الله تعالى رعاية كل جيل بيد من ينشئه ويربيه ، فرعاية البنين والبنات في أيدي الآباء والأمهات ، فهم أمانة في أعناقهم يجب أن يحسنوا رعايتها ، وهم مسئولون

عن نشأتهم وسيرتهم واستقامتهم .

هذا ،وقد رأيت أن أخرج هذه الرسالة ، مبينا فيها سبيل الاستقامة في التربية الصالحة ، والتوجيه القويم ؛ لتكون نبراساً هادياً للآباء والأمهات والمربين ، ومنهاجاً سليماً قويماً صالحاً يعملون به ويترسّمون سبيله .

وأما ما جاء في كتب التربية الحديثة من مناهج عديدة فأكثرها نظريّ لا عمليٌّ ، وفيها كثير مما يخالف أحكام الإسلام ، وأخلاقه الكريمة ، وآدابه الرفيعة ، فلا ينبغي للمسلم أن يغتر بما يخالف دينه الحنيف ، بل عليه أن يلتزم النهج الإسلامي القويم في تربية أبنائه ، والمسلم الحق غني بدينه الحق عن نظريات منشؤها الظن ، ومناهج منحرفة ملتوية ، لا أساس لها من دين ولا خلق متين .

وأسأل الله تعالى أن يتقبلها وينفع بها ، إنه سميع مجيب .

في ١ جمادى الأولى ١٣٩٣

أحمد عز الدين البيانوني

الله سبحانه منزه عن الولد

﴿ وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له ما في السموات والأرض ، كل له قانتون ﴾[١] .

ردّ الله تعالى في هذه الآية الكريمة ،وفي آيات غيرها على النصارى قولهم : « المسيح ابن الله » وعلى اليهود قولهم : « عُزَيْرٌ ابن الله » وعلى كفار العرب قولهم : « الملائكة بنات الله » .

وفي الحديث القدسي الشريف :

« كذّبني ابن آدم ، ولم يكن له ذلك ، وشتمني ، ولم يكن له ذلك .

فأما تكذيبه إياي : فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان .

وأما شتمه إياي : فقوله : لي ولد .

فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولداً »[٢] .

---

(١) ١١٦ ـ البقرة . (٢) البخاري .

وأنت ترى أن الولد لا يكون إلا من جنس الوالد ، فكيف يكون للحق سبحانه أن يتخذ ولداً من مخلوقاته ، وهو لا يشبهه شيء ، ولا يجانسه شيء وقد قال تعالى :

﴿ بديع السموات والأرض ، أنّى يكون له ولد ، ولم تكن له صاحبة ، وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ﴾[1]

﴿ وقالوا : اتخذ الرحمن ولدا * لقد جئتم شيئاً إدّاً ﴾ - أي منكراً عظيماً - ﴿ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً * أن دعوا للرحمن ولداً * وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً ﴾[2] .

---

(١) ١٠١ ـ الأنعام .

(٢) ٨٨ ـ ٩٣ ـ مريم .

وقال بعض المشركين لرسول الله ﷺ :

صف لنا ربك ، أمن ذهب هو ، أم من نحاس ، أم من صُفْر ؟

وفي رواية أنهم قالوا له : انسب لنا ربك .

فأنزل الله تعالى : ﴿ **قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد** ﴾[١]

فالله تعالى واحد وتر ، لا شبيه له ولا نظير ، ولا صاحبة ولا ولد ولا شريك ، وهو الدائم الباقي ، والسيد الذي يُصمَدُ - أي يُقصَدُ - إليه في الحاجات ، وهو المستغني عن كل أحد ، والمحتاج إليه كل أحد ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

الترغيب في النكاح :

قال الله تعالى ﴿ **ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك ، وجعلنا لهم أزواجاً وذرية** ﴾[٢] ....

---

(١) سورة الإخلاص .

(٢) ٣٨ - الرعد .

روي أن اليهود عابوا على النبي ﷺ كثرة الأزواج ، وعيروه بذلك وقالوا :

ما نرى لهذا الرجل همة إلا النساء والنكاح ، ولو كان نبياً لشغله أمر النبوة عن النساء .

فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وذكّرهم أمر داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام ، وهما من أنبيائهم .

وغاب عن هؤلاء الحمقى في الأولين ، وعن المستشرقين ـ أعداء الإسلام في الآخرين ـ أن النبي ﷺ تزوج خديجة رضي الله عنها وهي في سن الأربعين ، وكان هو في ميعة صباه ـ في الخامسة والعشرين من عمره ـ ولم يتزوج غيرها حتى توفيت ، ثم تزوج بعدها من تزوج ، بعد ما جاوز سن الكهولة ، وكلهن ثيبات إلا عائشة رضي الله عنها ، وما تزوجهن إلا لحكم سامية من أهمها :

تأليف القبائل على الإسلام بالمصاهرة ، فالمصاهرة قرابة ، ومن القرابة تنشأ المحبة .

ولتكون زوجاته رضي الله عنهن معلمات للنساء أحكام دينهن ، فالمرأة لا تستحي من امرأة مثلها في سؤالها عما يخص النساء من الأحكام كما تستحي من رجل .

ولو أن النبي ﷺ تزوج من النساء من تزوج ، لإرواء شهوة وإطفاء غليل ، لكان هذا أجدر أن يكون في عنفوان شبابه من جهة ، ولاختار الأبكار من جهة أخرى ؛ لأن الأبكار أمتع وأروى .

ولكن قاتل الله الأعداء المغرضين ، فالأعداء أفاعي ، والأفاعي لاتنفث إلا السم . ومع هذا فليس الأعداء موضع العجب ، إنما العجب من المغفلين من شباب المسلمين ، الذين ينخدعون بأقوالهم ، ويعمون عن عدائهم السافر اللئيم .

نعود فنقول : إن الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام بشر ، يأكلون ويشربون ، ويقضون ما أحل الله تعالى لهم من شهوات الدنيا ، وإنما خصهم الله تعالى بالوحي ، وفي الآية السابقة المذكورة ترغيب في النكاح وحضٌّ عليه ، وفي الحديث الشريف :

« يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة - يعني النكاح - فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء »[١] .

أي : قطع لشهوة النكاح .

« أربع من سنن المرسلين : الحياء ، والتعطر ، والسواك ، والنكاح »[٢] .

« الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة »[٣] .

« ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة ، إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليه أبرته ، وإن غاب عنها نصحته في نفسهاوماله »[٤] .

« من سعادة ابن آدم ثلاثة :المرأة الصالحة ، والمسكن الصالح ، والمركب الصالح »[٥].

« ثلاثة حق على الله عونهم : المجاهد في سبيل الله ،

---

(١) البخاري ومسلم وغيرهما .
(٢) الترمذي .
(٣) مسلم وغيره .
(٤) ابن ماجه .
(٥) أحمد .

والمكاتب الذي يريد الأداء ، والناكح الذي يريد العفاف »[١] .

« إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين ، فليتق الله في الشطر الباقي »[٢] .

وجاء رهط ـ أي : جماعة ـ إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ :

فلماأخبروا كأنهم تقالُّوها ـ أي : رأوها قليلة ـ

فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟

قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبداً .

وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر .

وقال آخر : وأنا أعتزل النساء ، فلا أتزوج أبدا

---

(١) الترمذي وغيره .

(٢) البيهقي وغيره .

فجاء رسول الله ﷺ إليهم ، فقال :

« أنتم القوم الذين قلتم : كذا وكذا ؟!

أما والله إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني »(١) .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال :

أراد عثمان بن مظعون رضي الله عنه أن يتبتل ، فنهاه النبي ﷺ ، ولو أجاز له ذلك لاختصينا (٢) .

وفي الحديث الشريف أيضا : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك »(٣) .

وتربت يداك : كلمة معناها الحث والتحريض .

وفي حديث آخر :

---

(١) رواه مسلم والبخاري .

(٢) مسلم .

(٣) البخاري ومسلم وغيرهما .

« من تزوج امرأة لعزها ، لم يزده الله إلا ذلاً .

ومن تزوجها لمالها ، لم يزده الله إلا فقراً .

ومن تزوجها لحسبها ، لم يزده الله إلا دناءة .

ومن تزوج امرأة ، لم يرد بها إلا أن يغض بصره ، ويحصن فرجه ، أو يصل رحمه ، بارك الله له فيها ، وبارك لها فيه »[١] .

« لاتَزوَّجوا النساء لحسنهن ، فعسى حسنهن أن يُرديهن .

ولا تزوجوهن لأموالهن ، فعسى أموالهن أن تطغيهن .

ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة خرماء ـ أى مثقوبة الأذن ـ سوداء ذات دين أفضل »[٢] .

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال :

يا رسول الله ، إني أصبت امرأة ذات حسب ومنصب ومال ، إلا أنها لا تلد ، أفأتزوجها ؟

فنهاه ، ثم أتاه الثانية ، فقال له مثل ذلك .

ثم أتاه الثالثة ، فقال له :

---

(١) الطبراني .

(٢) ابن ماجه .

« تزوجوا الودود الولود :فإني مكاثر بكم الأمم »[١] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال :

قالت أم سليم ـ يعني أمه ـ : يا رسول الله ، خادمك أنس ، ادع الله له .

فقال : « اللهم أكثر ماله وولده ، وبارك له فيما أعطيته »[٢] .

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول :

(إني لأتزوج المرأة ، ومالي فيها من حاجة ، وأطؤها وما أشتهيها) .

قيل له : وما يحملك علي ذلك يا أمير المؤمنين ؟

قال : (حبي أن يخرج الله مني من يكاثر به النبي ﷺ النبيين يوم القيامة . وإني سمعته يقول :

« عليكم بالأبكار ، فإنهن أعذب أفواهاً ، وأحسن أخلاقاً ،وأنتق أرحاماً ـ أي أقبل للولد ـ وإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة ») .

---

(١) أبو داود وغيره .

(٢) البخاري .

تحديد النسل :

من قرأ هذه النصوص علم يقيناً أن فكرة « تحديد النسل » الشائعة اليوم ، ليست من هدي الإسلام في شيء .

وهى فكرة خبيثة ، وأثر من آثار طغيان المادة التي سيطرت على الأفراد والجماعات .

فالأسرة التى تعيش في مستوىً وسطٍ مقتصد ، ومورد راعيها المنفق عليها محدود ، ماذا عليها لو زاد عدد أفرادها ، وهبط مستوى عيشها إلى ما دون ذلك ؟

مع أن الرزق مقسوم ، وقد يكون الولد الذي حيل بينه وبين حمل أمه به ، كثير الرزق تعود بركة رزقه الواسع على الأسرة جميعها .

ففي الحديث الشريف عن الجنين في بطن أمه :

« ... ثم يرسل إليه الملك ، وينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وعمله ، وأجله ، وشقي أو

سعيد »[١] ...

ثم ينبغي للمسلمين قبل أن ينساقوا في تيار دعوة ، أن يميزوا خيرها من شرها ، فينظروا فيمن يدعوهم إليها ، هل هم أعداء ، أم أولياء أصفياء ؟

فالعدو إذا دعانا إلى تحديد النسل ، إنما يدعونا إلى سبب من أسباب الضعف ، الذي يبقينا في أسر سيطرته طول الحياة .

الأبناء هبة من الله تعالى للعباد :

قال الله تعالى :﴿ **يَهبَ لمن يشاء إناثاً ، ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوّجهم ذكراناً وإناثاً ، ويجعل من يشاء عقيماً ، إنه عليم قدير** ﴾[٢]

وقال تعالى : ﴿ **ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب** ﴾ أي كثير الرجوع إلى الله تعالى بالتوبة .

---

(١) البخاري ومسلم .

(٢) ٤٩ و ٥٠ الشورى .

(٣) ٣٠ ـ ص .

وقال تعالى على لسان إبراهيم عليه الصلاة والسلام :

﴿ الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب ﴾[٢] .

وقال سبحانه : ﴿ وزكريا إذ نادى ربه : رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين * فاستجبنا له ، ووهبنا له يحيىٰ ... ﴾[٣]

وقال تعالى في مريم عليها السلام حين خاطبها جبريل عليه السلام :

﴿ قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً ﴾[٤] .

وقال تعالى في وصف عباد الرحمن :

﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ، واجعلنا للمتقين إماماً ﴾[٥] .

---

(١) ٣٩ ـ إبراهيم .
(٢) ٨٤ ـ الأنعام .
(٣) ٨٩ و ٩٠ ـ الأنبياء .
(٤) ١٩ ـ مريم .
(٥) ٧٤ ـ الفرقان .

أي قدوة يقتدى بنا في الخير ، وهذا لا يكون إلا أن يكون الداعي متقياً قدوة .

فكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول : اللهم اجعلنا من أئمة المتقين .

وكان القشيري أبو القاسم شيخ الصوفية رضي الله عنه يقول :

الأئمة بالدعاء لا بالدعوى .

يعني بتوفيق الله وتيسيره ومنّته ، لا بما يدَّعيه كل أحد لنفسه .

وقال النخعي رحمه الله تعالى : لم يطلبوا الرياسة ، بل أن يكونوا قدوة في الدين .

فرح الآباء بالأبناء :

الأبناء فرحة الآباء وبهجة نفوسهم وقرة أعينهم :

فرح الذي اشترى يوسف عليه السلام بحوزته على يوسف

وقال لامرأته :﴿ **أكرمي مثواه ، عسى أن ينفعنا ، أو نتخذه ولداً** ﴾[١]

وقص الله تعالى علينا خبر امرأة فرعون وفرحها بموسى عليه السلام حين عثرت عليه ، واستخرجته من النيل ، فقال :

﴿ **وقالت امرأة فرعون** ﴾ أي لزوجها ﴿ **قرة عين لي ولك لا تقتلوه ، عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً ...** ﴾[٢] .

وقد سمى الله تعالى الأولاد قرة أعين ـ أي مسراتٍ وأفراحاً ـ فقال في معرض الثناء :

﴿ **والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ...** ﴾[٣] .

ولمكانة الولد من القلب ، ورفعة منزلته فيه ، كان العرب

---

(١) ٢١ ـ يوسف .

(٢) ٩ ـ القصص .

(٣) ٧٤ ـ الفرقان .

إذا أكرم أحدهم إنساناً قال:

« أفديك بولدي » أو « ولدي لك فداء »

وقال النابغة :

مهـلاً فـــداءً لـــك الأقــوام كلهم

ومـــا أثمر من مـــال ومن ولـــد

منَّة الله تعالى على الآباء بنعمة الأبناء :

قال نوح عليه السلام لقومه ، يدعوهم إلى الإيمان بالله تعالى وطاعته :

﴿ استغفروا ربكم إنه كان غفاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً * ويمددكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم جناتٍ ويجعل لكم أنهاراً ﴾ [١] .

وقال تعالى على لسان هود عليه السلام يخاطب قومه :

﴿ فاتقوا الله وأطيعون * واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون * أمدكم بأنعام وبنين * وجنات وعيون ﴾[٢] .

---

(١) ١٠ ـ ١٢ نوح .
(٢) ١٣١ ـ ١٣٤ ـ الشعراء .

وقال تعالى ممتناً على بني إسرائيل إذ نصرهم على أعدائهم المجوس :

﴿ ثم رددنا لكم الكرة عليهم ، وأمددناكم بأموال وبنين ، وجعلناكم أكثر نفيراً ﴾ (١) .

وقال تعالى في معرض الامتنان أيضاً :

﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ﴾ (٢) .

والبنون : أولاد الرجل لصلبه . والحفدة : أولاد ولده .

وقال تعالى في الوليد بن المغيرة ـ الذي كفر بالله ـ يهدّده ويذكّره بنعمته عليه :

﴿ ذرني ومن خلقت وحيداً * وجعلت له مالاً ممدوداً * وبنين شهوداً ﴾ (٣) .

---

(١) ٦ ـ الإسراء .
(٢) ٧٢ ـ النحل .
(٣) ١٣ ـ المدثر .

مذمة الاغترار بالأبناء :

قص الله تعالى علينا من نبأ نوح عليه السلام مع قومه ، فقال :

﴿ قال نوح رب إنهم عصوني ، واتَّبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً ﴾[١] .

شكا نوح عليه السلام قومه إلى ربه تعالى ، بأنهم عصوه ، ولم يتبعوه فيما أمرهم به من الإيمان بالله وحده ، وأنهم اتبعوا كبراءهم وأغنياءهم ، الذين لم تزدهم أموالهم ولا أولادهم إلا ضلالاً في الدنيا ، وهلاكاً في الآخرة .

وقال تعالى **﴿ وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون * وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً ... ﴾ [٢] .**

أي فضّلنا عليكم بالأموال والأولاد ، ولو لم يكن ربكم راضياً بما نحن عليه من الدين والفضل ، لم يخوّلنا ذلك .

---

(١) ٢١ ـ نوح .
(٢) ٣٤ و ٣٥ ـ سبأ .

فردّ الله تعالى عليهم فقال :

﴿ وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ، إلا من آمن وعمل صالحاً ... ﴾ [١] .

ـ قال تعالى : **﴿ ولاتطع كل حلاف مهين * هماز مَشّاءٍ بنميم ... ﴾** .

إلى قوله تعالى :**﴿ أن كان ذا مال وبنين * إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ﴾** [٢] .

يقول الله تعالى مخبراً أنه كان ذا مال وبنين ، يقول إذا تتلى عليه آياتنا : ما هي إلا أساطير الأولين ؟! يندد عليه في غروره بماله وأولاده .

قال تعالى : **﴿ وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها ، هي حسبهم ،**

---

(١) ٣٧ ـ سبأ .
(٢) ١٠ ـ ١٥ ـ ن .

ولعنهم الله ، ولهم عـذاب مقيم * كالـذين من قبلكم كانوا أشدَّ منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً .. ﴾[١]

وقال عز وجل﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينـة وتفـاخر بينكم وتكاثر في الأمـوال والأولاد .. ﴾[٢].

فكـان مـن عادة الجاهليـة ، أنـهم يتكاثرون ويتفـاخرون بالأموال والطاعة والأولاد، أما المؤمنون فتكاثرهم وتفاخرهم بالإيمان والطاعة .

وماكثرة الأموال والأولاد بنافعة للكافرين، ولادافعة عنهم من عذاب الله من شيء.

فالاغترار بالأموال والأولاد حمق ليس بعده حمق .

---

(١) ٦٨ ـ ٦٩ ـ التوبة .

(٢) ٢٠ ـ الحديد .

الحذر من تعلق القلب بالأولاد :

وينبغي الحذر من تعلق القلب بالولد، ولاسيا إذا كان وحيداً، فذلك مذموم ، لأنه مضر بالولد إذا شعر به، فإن ذلك يحمله على التمرد والشطط ، وفي هذا خطر عليه في أمر دينه ودنياه .

الفتنة بالأولاد :

قال الله تعالى : ﴿ **إنما أموالكم وأولادكم فتنة ...** ﴾[1].

فالمال والبنون فتنة للناس وبلاء واختبار . إذ قد تحمل الناس على كسب المحرّم ، ومنع حق الله تعالى ، فينبغي الحذر من ذلك .

ومن الفتنة بالأولاد أن يلتهي الآباء والأمهات بهم عن طاعة الله ، والاستجابة لأمر الله .

قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تُلهكم**

---

(١) ١٥ ـ التغابن .

أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ... ﴾ [١] .

ومن الفتنة بالأولاد إقرارهم على المعاصي، والسكوت عنهم في القعود عن الطاعة، وإعطاؤهم المال ينفقونه في الملاهي والمعاصي والآثام .

لاينتسب الولد إلى غير أبيه :

قال الله تعالى في تحريم التبني :

﴿ ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ... ﴾ [٢] .

وفي الحديث الشريف : « من ادعى إلى غير أبيه ، وهو يعلم أنه غير أبيه ، فالجنة عليه حرام » [٣] .

« ... ومن ادعى إلى غير أبيه ،أو انتمى إلى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لايقبل الله منه يوم القيامة عدلاً ولاصرفاً » [٤] .

---

(١) ٩ ـ المنافقون .

(٢) ٥ ـ الأحزاب .

(٣) البخاري ومسلم .

(٤) البخاري ومسلم .

«من ادعى إلى غير أبيه لم يَرَحْ -أي لم يشُمَّ- رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عاماً»[(١)] .

الأمر بحسن تربية البنين والبنات :

قال الله تعالى مُخاطباً نبيه ﷺ :

﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين . ﴾ [(٢)] .

فلما نزلت هذه الآية، دعا رسول الله ﷺ قريشاً فاجتمعوا فعمَّ وخصَّ، فقال:

« يابني كعب بن لؤي ، أنقذوا أنفسكم من النار .

يابني مرة بن كعب ، أنقذوا أنفسكم من النار .

يا بني عبد شمس ، أنقذوا أنفسكم من النار .

يابني عبد مناف ، أنقذوا أنفسكم من النار .

يابني هاشم ، أنقذوا أنفسكم من النار .

يابني عبد المطلب ، أنقذوا أنفسكم من النار .

---

(١) أحمد وغيره .

(٢) ٢١٤ ـ الشعراء .

يافاطمة ، أنقذي نفسك من النار .

فإني لاأملك لكم من الله شيئاً ، غير أن لكم رحماً سأبُلها ببِلالها »[١] .

البلال:الماء.ومعنى الحديث:سأصلها. شبّه قطيعتها بالحرارة تطفأ بالماء، وهذه تُبردَ بالصلة .

وقال تعالى : ﴿ **يأيـها النبي قـل لأزواجـك وبناتك ونساء المؤمنين يُدنين عليهن من جلابيبهن...** ﴾[٢] .

أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يأمر أزواجه وبناته ونساء المؤمنين بالحجاب، وذلك بإلقاء ثوب عليهن يقال له الجلباب، وهو الملاءة. وذلك بالالتفاف به التفافاً يشمل البدن كله، إلا عيناً واحدة يبصرن بها الطريق .

وقال تعالى مخاطباً لنبيهﷺ :

﴿ **وأمرْ أهلك بالصلاة واصطبر عليها** ﴾[٣]

---

(١) مسلم .
(٢) ٥٩ ـ الأحزاب .
(٣) ١٣٢ ـ طه .

فكان ﷺ بعد نزول هذه الآية ، يذهب كل صباح إلى بيت فاطمة وعلي رضوان الله عليهما ، فيقول : « الصلاة » .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يوقظ أهل داره لصلاة الليل، ويصلي، وهو يتمثل بهذه الآية .

وقال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا، ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحُلُم منكم ثلاث مرات :**

من قبل صلاة الفجر، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء .

ثلاث عورات لكم ﴾ ـ أي ساعات تظهر فيها العورة ـ ﴿ **ليس عليكم ولاعليهم جناح بعدهن ، طوافون عليكم بعضكم على بعض ...** ﴾[1] .

أدّب الله عز وجل عباده في هذه الآية ، بأن يكون العبيد والخدم ، والأطفال الذين لم يبلغوا الحلم ، إلا أنهم عقلوا معاني الكشفة ونحوها ، يستأذنون على أهليهم في هذه الأوقات

---

(١) ٥٨ ـ النور .

الثلاثة، وهي الأوقات التي تقتضي عادة الناس الانكشاف فيها، وملازمة التعري.

فما قبل الفجر ، وقت انتهاء النوم ، ووقت الخروج من ثياب النوم ، ولبس ثياب النهار ، ووقت القائلة ، وقت التجرد أيضاً ، وهي الظهيرة ، لأن النهار يظهر فيها إذا علا شعاعه واشتد حره .وبعد صلاة العشاء ، وقت التعري للنوم .

فالتكشف غالب في هذه الأوقات .

روي أن النبي ﷺ ، بعث غلاماً من الأنصار يقال له : مُدْلج . إلى عمر بن الخطاب ظهيرة ليدعوه ، فوجده نائماً ، قد أغلق عليه الباب ، فدق عليه الباب ، فناداه ودخل ، فاستيقظ عمر وجلس ، فانكشف منه شيء .

فقال عمر : ودَدت أنّ الله نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا عن الدخول علينا في هذه الساعات إلا بإذن .

ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ ، فوجد هذه الآية قد أنزلت ، فخرّ ساجداً شكراً لله .

قال أبو إسحاق الفَزاري :

قلت للأوزاعي : ماحد الطفل الذي يستأذن ؟

قال : أربع سنين ، لايدخل على امرأة حتى يستأذن .

قال الزهري : ويستأذن الرجل حتى على أمه .

وقال تعالى: ﴿ ياأيها الذين آمنوا، قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة... ﴾ [١] .

فعلى الرجل أن يصلح نفسه بالطاعة ، ويصلح أهله .

وفي الحديث : « ... والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته ... » [٢] .

وعن هذا عبّر الحسن رضي الله عنه في هذه الآية بقوله: يأمرهم وينهاهم .

وفي الحديث الصحيح : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه » [٣] .

---

(١) ٦ ـ التحريم .

(٢) البخاري ومسلم .

(٣) البخاري ومسلم .

فعلى الرجل أن يعلم ولده أحكام الحلال والحرام ، ويجنّبه المعاصي والآثام ، وأن يعلّمه مالايُستغنىٰ عنه من الأدب .

ففي الحديث الشريف : « حق الولد على والده أن يحسن اسمه ، ويعلّمه الكتابة ، ويزوّجه إذا أدرك ، ويعلمه الكتاب»[١] ـأي القرآن ـ .

« مانحل والد ولداً ـ أي أعطاه ووهبه ـ أفضل من أدب حسن »[٢] .

« لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع »[٣] .

« مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين ، وفرّقوا بينهم في المضاجع »[٤] .

☆ ☆ ☆

---

(١) الحاكم والديلمي .
(٢) الترمذي .
(٣) الترمذي .
(٤) أبو داود .

طفولة النبي صلى الله عليه وسلم

نسبه صلى الله عليه وسلم :

هو سيدنا أبو القاسم : محمد بن عبد الله ، بن عبد المطلب ، بن هاشم ، بن عبد مناف ، بن قصيٍّ ، بن كلاب ، ابن مُرة ، بن كعب بن لؤي ، بن غالب ، بن فهر ، ابن مالك ، بن النضر ، بن كنانة ، بن خزيمة ، بن مدركة ، ابن إلياس ، بن مضر ، بن نزار ، بن معد ، بن عدنان .

هذا هو النسب الذي اتفق على صحته علماء الحديث والتاريخ .

أما النسب فوق ذلك، فلا يصح له طريق. وغاية الأمر أنهم أجمعوا على أن نسب الرسول ﷺ ينتهي إلى إسماعيل ابن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام .

هذا نسبه من جهة أبيه .

وأما نسبه من جهة أمه ، فهو ﷺ محمد بن آمنة بنت وهب ، بن عبد مناف ، بن زُهرة ، بن كِلاب .

فتجتمع معه عليه الصلاة والسلام في جده كِلاب .

أبوه وأمه :

كان عبد الله بن عبد المطلب أبو الرسول الأعظم ﷺ ، من أحب أولاد أبيه إليه . ولمابلغ عمره ثماني عشرة سنة ، زوّجه آمنة بنت وهب ، فحملت منه برسول الله ﷺ .

وفاة أبيه :

ثم لم يلبث أبوه أن توفي ، وهي حامل به ، أو بعد وضعه بشهرين .

ولادته عليه الصلاة والسلام :

وكانت ولادته يوم الاثنين ، في التاسع من شهر ربيع الأول عام الفيل ، وقيل في الثاني عشر منه ، حين طلوع الفجر .

ولم يترك له والده من المال إلا خمسة جمال، وبعض نعاج، وجارية.

ويروى أقل من ذلك .

وأرضعته حليمة السعدية ، وذلك أنه كان من عادة العرب ، أن يلتمسوا الرضعاء لأولادهم في البوادي ليكون أنجب للولد . فجاء نسوة من بني سعد بن بكر ، يطلبنَ أطفالاً يُرضعنَهم ، فكان الرضيع المحمود ﷺ من نصيب حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية ، واسم زوجها أبو كبشة . فدرت البركات على أهل ذلك البيت الذين أرضعوه مدة وجوده بينهم ، وكانت تزيد على أربع سنين .

ورحم الله الأبوصيري إذ يقول :

وإذا سخَّر الإلـــه أنـــاســـاً
لسعيـــد فـــإنهم سعـــداءُ

حادثة شق الصدر :

وحصل له وهو بينهم حادثة عظيمة، وهي شق صدره، وإخراج حظّ الشيطان منه. فأحدث ذلك عند حليمة خوفاً، فردته إلى أمه وحدثتها قائلة:

بينما هو وإخوته في بَهْمٍ ـ أي خراف ـ لنا خلف بيوتنا إذ أتى أخوه ـ أي من الرضاع ـ يعدو ،فقال لي ولأبيه :

ذاك أخي القرشي، قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاه، فشقا بطنه، فهما يسوطانه ـأي يحركانه بسوطـ.

فخرجت أنا وأبوه ـ أي أبو كبشة ـ نحوه ، فوجدناه منتقعاً لونه ـ أي شبيها بالنقع وهو التراب ـ فالتزمته ، والتزمه أبوه ، فقلنا له :

مالك يابني ؟!

فقال : جاءني رجلان عليهما ثياب بيض ، فقال أحدهما لصاحبه :

أهو هو ؟

قال : نعم .

فأقبلا يبتدراني ، فأضجعاني ، فشقّا بطني ، فالتمسا فيه شيئاً ، فأخذاه وطرحاه ، ولا أدري ماهو .

وفاة أمه :

وفي السنة السادسة من عمره ، أخرجته أمه إلى أخواله بالمدينة ، فتُوفيت بالأبواء ـ قرية بين مكة والمدينة ،ـ وهي إلى المدينة أقرب ـ .

فحضنته أم أيمن ، وكفله جده عبد المطلب ، ورقّ له رقة لم تعهد له في ولده ، لماكان يظهر عليه مما يدل على أن له شأناً عظيماً في المستقبل .

وفاة جده وكفالة عمه :

وبعد سنتين من كفالته توفي جده ، فكفله عمه أبو طالب ، وكان شهماً كريماً غير أنه كان من الفقر بحيث لايملك كفاف أهله .

عناية الله تعالى بنبيه محمد ﷺ في طفولته :

نشأ عليه الصلاة والسلام ـ مع يُتمه ـ مَرعياً برعاية الله تعالى ، مهذباً أحسن تهذيب ، عفيفاً أديباً أميناً ، حتى عُرف

بين أهله وقومه بذلك ، ونال إعجابهم وحبهم ، فأكبروا أدبه وخلقه .

كان أبو طالب عم الرسول ﷺ، يقرّب إلى صبيانه بصَحْفتهم-أي إناء طعامهم، فيجلسون وينتهبون ، ويكفٌّ رسول الله ﷺ لاينتهب معهم . فلما رأى ذلك عمه ، عزل له طعامه على حدة .

قال أصحاب السير : عاش ﷺ ، ولم يكن له مؤدب ظاهر يعتني بتثقيفه ، أو مربّ معروف يتولى تهذيبه ، إلا سلامة الفطرة ، وسموّ الغريزة ، وطهارة العقيدة ، والاعتصام بالفضيلة ... ولم يكن ﷺ في نشأته جارياً على المألوف في الصبيان ، من تأثر عقولهم ونفوسهم بما يرون ويسمعون ويُحسون في بيئتهم ، ولو جرى الأمر على ذلك، لشارك قومه في تعظيم الأصنام وعبادتها ولانغمس في ضلالات الوثنية وأوهامها، ولكنَّ عناية الله قد تكفلت بتربيته، فنشأ على أكمل ماتتحلى به النفوس من جميل الصفات ، وحميد الخصال ، ولم يسجد لصنم من الأصنام ، ولم يشارك قومه في عيد من

أعيادها ، ولم يذق لحوم قرابينها .. ولا عجب فقد حدَّث عن نفسه فقال :

« أدبني ربي فأحسن تأديبي » [١] .

قال الحافظ ابن كثير في كتابه « البداية والنهاية » :

قال محمد بن إسحاق:شبّ رسول الله ﷺ يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أدناس الجاهلية، لمايريد من كرامته ورسالته:حتى بلغ أنْ كان رجلاً أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم حسباً، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم عن الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال، تنزّهاً وتكرماً، حتى ماسُمّيَ في قومه إلا « الأمين » لما جمع الله تعالى فيه من الأمور الصالحة .

وكان ﷺ يحدّث عما كان الله يحفظه به في صغره من أمر الجاهلية فيقول :

« لقد رأيتني في غلمان من قريش ، ننقل الحجارة لبعض

---

(١) رواه العسكري في الأمثال .

مايلعب الغلمان ، كلنا قد تعرى ، وأخذ إزاره ، وجعله على رقبته ، يحمل عليه الحجارة ، فإني لأقبل معهم كذلك وأدبر ، إذ لكمني لاكمٌ - ماأراه - لكمةً وجيعة ، ثم قال : شُدَّ عليك إزارك .

قال : فأخذته فشددته عليّ ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي ، وإزاري عليّ من بين أصحابي »[١] .

ولما شب ﷺ ، وبُنيت الكعبة ، ذهب رسول الله ﷺ ينقل الحجارة مع أشراف قريش لبنائها .

فقال العباس لرسول الله ﷺ: اجعل إزارك على عاتقك من الحجارة .

ففعل ، فخرَّ إلى الأرض ، وطَمحتْ عيناه إلى السماء ، ثم قام فقال : « إزاري » فشدَّ عليه إزاره وقال : « إني نُهيت أن أمشي عُرياناً »[٢] .

---

(١) ابن كثير .

(٢) البخاري ومسلم والبيهقي .

وكان ﷺ يقول أيضاً : « ماهممت بشيء مما يهم به أهل الجاهلية إلا مرتين ، عصمني الله فيهما :

قلت ليلة لفتىً من قريش : أبصرْ لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما تسمر الفتيان .

قال : نعم .

قال : فدخلت حتى جئت أول دار من دور مكة ، فسمعت غناءً وَعزفاً وصوت دفوف ومزامير . فقلت : ماهذا ؟

فقالوا : فلان تزوج فلانة .

فجلست لذلك ، فضرب الله على أذني فنمت ، فما أيقظني إلا مسُّ الشمس ، فرجعت إلى صاحبي .

ثم فعلت ليلة أخرى مثل ذلك ، فنمت . فوالله ماهممت بعدهما بشيء من ذلك حتى أكرمني الله بنبوته » [١] .

---

(١) الذهبي والسيوطي .

أولاد النبي صلى الله عليه وسلم :

أبناء الرسول ﷺ ثلاثة ، وهم :

١ ـ القاسم : وهو أول ولد له قبل النبوة ، وبه كان يُكنى ، وعاش سنتين .

٢ ـ وإبراهيم : وتوفي بعد سبعين يوماً من مولده .

٣ ـ وعبد الله ويلقب بالطيب والطاهر ، وقد مات صغيراً .

وأما بناته ﷺ فأربع ، وهن :

١ ـ زينب : وهي أكبر بناته ، أدركت الإسلام وأسلمت ثم أسلم زوجها وهو ابن خالتها أبو العاص لقيط الربيع .

٢ ـ ورقيّة : وزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنهما .

٣ ـ وأم كلثوم : تزوجها عثمان أيضاً بعد وفاة أختها رقية .

٤ ـ وفاطمة الزهراء : وزوجها عليّ بن أبي طالب رضي

الله عنها .

وكل أولاده ﷺ من خديجة رضي الله عنها ، إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية .

وأولاده كلهم ولدوا قبل النبوة ، إلا فاطمة فبعد النبوة بسنة ، وإلا إبراهيم ، فإنه ولد في السنة الثامنة من الهجرة .

وأولاده كلهم ماتوا قبله ، إلا فاطمة ، فإنها عاشت بعده ستة أشهر .

مثل أعلى في نباهة الأطفال :

النباهة والذكاء من مواهب الله تعالى للعباد ، ومن فضله عليهم ، وقد يؤتيها الله تعالى الأطفال منذ نعومة أظفارهم . ﴿ **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء** ﴾ .

ومن ذلك ماوصف الله تعالى به يحي عليه السلام ، إذ قال :

﴿ **وآتيناه الحكم صبياً** ﴾[1] .

---

(١) ١٢ - مريم .

قال المفسرون : مرّ الصبيان بيحي عليه السلام وهو صبي فقالوا له : هلم نلعب .

فقال : أللعب خُلِقْت ؟!

وعن سَمُرة بن جندب رضي الله عنه أنه قال :

لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلاماً ، فكنت أحفظ عنه ، فما يمنعني من القول إلا أن هاهنا رجالاً هم أسن مني [١] .

ورأى الحسن والحسين رضي الله عنهما وهما طفلان يلعبان أعرابياً يتوضأ ولايحسن الوضوء ، فاتفقا على أن يعلماه الوضوء بأسلوب رقيق .

فأقبلا على الأعرابي وقالا له : ياعم ! انظر إلي وإلى أخي ، لترى أينا أحسن وضوءاً من أخيه .

فوقف الأعرابي ينظر إليهما ، وتوضأ كل واحد منهما وضوءاً خيراً من وضوئه .

---

(١) البخاري ومسلم .

ففطن الأعرابي لما أرادا ، وقال : أنتما والله أحسن وضوءاً مني ، وشكرهما ودعا لهما ، وانصرف .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال :

« إن من الشجر شجرة ، لايسقط ورقها ، وإنها مَثَل المسلم ، فحدثوني ماهي ؟ »

فوقع الناس في شجر البوادي .

قال عبد الله : ووقع في نفسي أنها النخلة ، فاستحييت .

ثم قالوا : حدثنا ماهي يارسول الله !

قال : « هي النخلة » .

وفي رواية : فأردت أن أقول : « هي النخلة » فإذا أنا أصغر القوم .

وفي رواية : ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان ، فكرهت أن أتكلم ، فلما قمنا حدثت أبي بما وقع في نفسي .

فقال : لأن تكون قلتها أحب إلي من أن يكون لي حمر النعم [١] .

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتي بشراب ، فشرب منه ، وعن يمينه غلام ، وعن يساره أشياخ .

فقال للغلام : « أتأذن لي أن أعطي هؤلاء ؟ »

فقال الغلام : لا والله ، لا أوثر بنصيبي منك أحداً [٢] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال :

كان عمر رضي الله عنه يدخلني ـ أي في أيام خلافته ـ مع أشياخ بدر ـ أي في المشورة ومهمات الأمور ـ فكأن بعضهم وجد في نفسه ـ أي غضب ـ فقال :

لِمَ يدخل هذا معنا ، ولنا أبناء مثله ؟

فقال عمر : إنه من حيث علمتم .

أي من بيت النبوة ، ومنبع العلوم ، ومصدر الآراء السديدة .

---

(١) البخاري وغيره .　　(٢) رواه مسلم .

فدعاني ذات يوم ، فأدخلني معهم ، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم .

قال : ما تقولون في قول الله تعالى : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح ...** ﴾ [١]؟

فقال بعضهم :أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا .

وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً .

فقال لي : أكذلك تقول يا بن عباس ؟

فقلت : لا .

قال : فما تقول ؟

قلت : هو أجل رسول الله ﷺ ، أعلمه له . قال : ﴿**إذا جاء نصر الله والفتح...**﴾وذلك علامة أجلك ﴿ **فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً** ﴾ .

فقال عمر رضي الله عنه : ما أعلم منها إلا ما تقول . [٢]

---

(١) سورة النصر .

(٢) البخاري .

ومرَّ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرة في طريق من طرق المدينة ، وأطفال هناك يلعبون ، وفيهم عبد الله بن الزبير وهو طفل يلعب ، فهرب الأطفال حين رأوا عمر ، ووقف ابن الزبير مكانه لم يهرب .

فلما وصل إليه عمر قال له : لِمَ لم تهرب مع الصبيان ؟

فقال على الفور : ليس في الطريق ضيق فأوسع لك ، ولست مسيئاً فأخافك .

ـ ورأى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ولداً له في يوم عيد ، وعليه ثوب خلق ـ أي بال ـ فدمعت عينه .

فرآه ولده فقال : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟

قال يا بني ، أخشى أن ينكسر قلبك ، إذا رآك الصبيان بهذا الثوب الخلق !

قال : يا أمير المؤمنين ، إنما ينكسر قلب من أعدمه الله رضاه ، أو عقّ أمه وأباه ، وإني لأرجو أن يكون الله تعالى راضياً عني برضاك .

ففرح بجوابه وضمه إليه ، وقبّل ما بين عينيه ودعا له ، فكان من أزهد الناس بعد أبيه .

ودخل على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في أول ولايته وفود المهنئين من كل جهة، فتقدم من وفد الحجازيين للكلام غلام صغير لم تبلغ سنه إحدى عشرة سنة .

فقال له عمر : ارجع أنت ، وليتقدم من هو أسن منك !

فقال الغلام : أيد الله أمير المؤمنين ، المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، فإذا منح الله العبد لساناً لافظاً ، وقلباً حافظاً، فقد استحق الكلام. ولو أن الأمر-يا أمير المؤمنين-بالسن، لكان في الأمة من هو أحق منك بمجلسك هذا .

فتعجب عمر من كلامه وأنشد :

تعلّم فليس المرء يـولـد عـالمـاً
وليس أخـو علم كمن هـو جـاهـلُ
وإن كبير القـوم لا علم عنـده
صغير إذا التفت عليـه المحـافـلُ

- وزار أحد الخلفاء وزيراً له في داره ، وكان للوزير ولد ذكي نبيه ، فأحب الخليفة أن يلاطفه ويداعبه ، فآراه خاتماً في إصبعه وقال :

هل رأيت أحسن من هذا الخاتم ؟

فقال الولد على الفور : نعم ، الأصبع التي هو فيها .

ثم قال له أيضاً هل دارنا أحسن أم داركم ؟

فقال : دارنا أحسن ما دام الخليفة فيها .

فأعجبه ذكاؤه وجوابه ، وقربه إليه وأكرمه .

ـ وقال بعضهم :

نعمُ الإله على العباد كثيرة
وأجلّهن نجـابـة الأولاد

مثل أعلى في شجاعة الأطفال :

كانت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، تذهب إلى غار ثور في الليالي التي اختفى فيها رسول الله ﷺ وأبوها ، فتحمل إليهما الماء والغذاء .

وهذه شجاعة نادرة. قد لا يقوى عليها كثير من الرجال .

وصنعت سُفرة للنبي ﷺ وأبيها ، يوم سفرهما إلى المدينة واحتاجت إلى ما تشد السفرة به ، فشقت نطاقها ، نصفين ،

فشدت بنصفه السفرة ، واتخذت النصف الثاني منطقاً .

فقال لها رسول الله ﷺ : أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة .

فقيل لها : ذات النطاقين .[١]

ـ ولما خرج المسلمون إلى أُحد للقاء المشركين ، استعرض النبي ﷺ الجيش ، فرأى فيه صغاراً حشروا أنفسهم مع الرجال ، ليكونوا مع المجاهدين في القتال ، فأشفق عليهم النبي ﷺ ورد من استصغره منهم .

وكان فيمن ردّ رافع بن خديج وسَمُرة بن جندب . ثم أجاز رافعاً لما قيل له : إنه رامٍ ـ أي يحسن الرماية ـ .

فبكى سمرة وقال لزوج أمه : أجاز رسول الله ﷺ رافعاً وردني ، مع أني أصرعه .

فبلغ رسول الله ﷺ الخبر ، فأمرهما بالمصارعة ، فكان الغالب سمرة ، فأجازه .

---

(١) انظر الإصابة لابن حجر العسقلاني ج ٢٢٤/٤ .

وهذا التنافس في الخروج إلى الجهاد ، وفيه ما فيه منَ تعريض النفس للقتل ، شجاعة وأي شجاعة !

مثل أعلى في تلقين الأبناء الثبات على الحق :

لما تخلف عبد الله بن الزبير رضي الله عنه عن بيعة الأمويين بالشام وبايعه أهل الحجاز ، حاصره الحجاج بمكة ، ولما اشتد به الحصار ، دخل على أمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما فقال :

يا أماه ! لقد خذلني الناس ، وتفرّق عني أصحابي ، حتى ولداي ، وإن بني أمية يعطونني من المال ما شئت ، فما رأيك ؟

قالت : يا بني إن كنت خرجت تقاتل للدنيا والمال ، فبئس ما خرجت إليه ، وإن كنت خرجت تقاتل على الحق ، فامضِ فيه حتى تُقتَل عليه كما قُتل عليه أصحابك

قال : يا أماه ! أخشى إن قتلوني أن يمثّلوا بي .

فقالت : يابني ، إن الشاة المذبوحة لا يؤلمها السلخ .

فقال : هذا رأيي ، ولكني أحببت أن أستطلع رأيك .

ثم خرج فقاتل حتى قُتل ، وصلبه الحجاج ، وتوقع أن تأتي أمه فتتشفع فيه ، فلم تفعل ، ودخلت عليه بعد أيام ، وقالت في عزة وإباء :

أما آن لهذا الراكب أن ينزل ؟

قال : المنافق ؟

قالت : لا والله ما كان منافقاً ، وقد كان صوّاماً قوّاماً .

قال : اذهبي فإنك عجوز قد خرفتِ .

قالت : لا والله ما خرفت ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يخرج في ثقيف كذاب ومُبير » .

فأما الكذاب فقد رأيناه ، وأما المبير فأنت هو .

والمبير هو : المهلك المسرف في قتل الناس . [1]

من عظات الآباء للأبناء والأطفال:

قال الله تعالى :﴿ **وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ، إن الشرك لظلم عظيم** ﴾

---

(١) انظر الإصابة لابن حجر العسقلاني ج/٤/٢٤٤ .

﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن ﴾ - أي ضعفاً على ضعفٍ - ﴿ وفصاله ﴾ - أي فطامه - ﴿ في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير * وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً ، واتبع سبيل من أناب إليّ ، ثم إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴾

﴿ يا بني إنها ﴾ - أي الحسنة أو السيئة - ﴿ إن تك مثقالَ حبة من خردل ، فتكن في صخرة أو في السموات أو الأرض ، يأت بها الله ، إن الله لطيف خبير يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك ، إن ذلك من عزم الأمور ﴾ أي أمر الله به أمراً مؤكداً .

﴿ ولا تصعّر خدك للناس ﴾ -أي تمله كبراً -﴿ ولا تمش في الأرض مرحاً ﴾ -أي متبختراً متكبراً -﴿ إن الله لا يحب كل مختال فخور ﴾

﴿ واقصد ﴾ [١] - أي توسط - ﴿ في مشيك، واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ [٢]

خص الحمير بالذكر تنفيراً من رفع الصوت ، فجعله شبيهاً بنهيق الحمير .

وقال تعالى : ﴿ ووصى بها ﴾ - أي الملة التي كان عليها - ﴿ إبراهيمُ بنيه ويعقوب

يا بَنيَّ إن الله اصطفىٰ لكم الدين ، فلا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون .

أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت ، إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي ؟

قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحداً ، ونحن له مسلمون ﴾ [٣] .

---

(١) والقصد بين الإسراع والبطء .

(٢) ١٣ ـ ١٩ ـ لقمان .

(٣) ١٣٢ و ١٣٣ ـ البقرة .

وروي أن الحسن بن علي رضي الله عنهما - وهو طفل - أخذ تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه .

فقال رسول الله ﷺ : « كخ ، كخ[١] ، إرم بها أما علمت أنّا لا نأكل الصدقة » [٢]

وفي رواية : « أنّا لا تحلّ لنا الصدقة »

وعن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما ، ربيب[٣] رسول الله ﷺ أنه قال :

كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ - أي في كنفه وحمايته - وكانت يدي تطيش في الصّحفة - أي تدور في نواحي الإناء - .

فقال لي رسول الله ﷺ : « يا غلام ، سمّ الله تعالى ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك »

فما زالت تلك طِعمتي بعد - أي صفة أكلي [٤] -

---

(١) كلمة زجر للصبي عن المستقدرات.

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) أي ولد زوجته أم سلمة رضي الله عنها .

(٤) البخاري ومسلم .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال :

كنت خلف النبي ﷺ ـ أي على دابته ـ يوماً فقال :

« يا غلام ، إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء ، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » [١]

وفي رواية أخرى : « احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا »

ـ وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، إذا نهى الناس عن أمر ، دعا أهله فقال : إني نهيت الناس عن كذا وكذا ، وإنما ينظر الناس إليكم نظر الطير إلى اللحم ،

---

(١) رواه الترمذي وغيره .

فإن وقعتم وقع الناس ، وإن هبتم هاب الناس ، وإنه والله لايقع أحد منكم في شيء نهيت عنه ، إلا أضعِف له العقوبة لمكانه مني .

من مواعظ علي رضي الله عنه :

ووعظ علي كرم الله وجهه ابنه الحسن رضي الله عنه فقال :

يا بني ، اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك :

فأحِبَّ لغيرك ما تحبّ لنفسك ، واكره له ما تكره لها .

ولا تظلم ، كما لا تحب أن تُظلَم .

وأحسن كما تحب أن يُحسن إليك .

واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك .

وارض من الناس ما ترضاه لهم من نفسك .

ولا تقل مالا تعلم ، ولا كلَّ ما تعلم .

ولا تقل مالا تحب أن يقال لك .

ولا تكن عبد غيرك ، وقد جعلك الله حرّاً .

واعلم أن حفظ ما في يديك ، أحب إليك من طلب ما في يد غيرك .

ولا تأكل من طعام ليس لك فيه حق ، فبئس الطعام الحرام .

وجدّ في الحصول على معاشك .

وإياك والاتكال على المنىٰ ، فإنها بضائع الموتى .

يا بني ، سل عن الرفيق قبل الطريق ، وعن الجار قبل الدار .

وإياك أن تذكر في الكلام ما كان مضحكاً ، وإن حكيت ذلك عن غيرك .

وأكرمْ عشيرتك ، فإنهم جناحك الذي تطير به ، وأصلك الذي إليه تصير ، ويدك التي بها تصول ، ولسانك الذي به تقول .

ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك .

ولا تكوننّ على الإساءة أقوى منك على الإحسان .

وليس جزاء مَن سَرَّك أن تسوءه .

نصيحة والد:

ورأى الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في يد

ولد من أولاده خاتماً قيمة فَصّه [١] ألف درهم ، فأقسم عليه أن يبيعه ، ويجعل ثمنه في بطن ألف جائع ، وأن يتّخذ مكانه خاتماً ينقش عليه : رحم الله امرأ عرف قدره .

تربية خال:

وقال سهل بن عبد الله التُستَري رضي الله عنه :

كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل ، فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار .

فقال لي يوما : ألا تذكر الله الذي خلقك ؟

فقلت : كيف أذكره ؟

قال : قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك :

« الله معي ، الله ناظر إليّ ، الله شاهدي » .

فقلت ذلك ليالي ، ثم أعلمته .

فقال : قل في كل ليلة سبع مرات .

فقلت ذلك ثم أعلمته .

---

(١) فص الخاتم : مايركب فيه من غيره .

فقال : قل ذلك كل ليلة إحدى عشرة مرة .

فقلته ، فوقع في قلبي حلاوته ، فلما كان بعد سنة ، قال لي خالي :

احفظْ ما علمتك ، ودم عليه إلى أن تدخل القبر ، فإنه ينفعك في الدنيا والآخره .

فلم أزل على ذلك سنين ، فوجدت لذلك حلاوة في سري .

ثم قال لي خالي يوماً : يا سهل ، مَن كان الله معه ، وناظراً إليه ، وشاهده ، أيعصيه ؟! إياك والمعصية !

فكنت أخلو بنفسي ، فبعثوا بي إلى المكتب .

فقلت : إني لأخشى أن يتفرّق عليّ همي ، ولكن شارطوا المعلم ، أني أذهب إليه ساعة فأتعلم ، ثم أرجع .

فمضيت إلى الكتاب ، فتعلمت القرآن ، وحفظته وأنا ابن ست سنين ، أو سبع سنين ، وكنت أصوم الدهر ، وقوتي من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة ، فوقعت لي مسألة ، وأنا ابن ثلاث عشرة سنة ، فسألت أهلي أن يبعثوني إلى أهل البصرة فسألت علماءها ، فلم يشفِ أحد عني شيئاً .

فخرجت إلى عبادان . إلى رجل يُعرف بأبي حبيب حمزة

ابن أبي عبد الله العباداني ، فسألته عنها ، فأجابني ، فأقمت عنده مدة ، أنتفع بكلامه ، وأتأدب بآدابه ، ثم رجعت إلى تُسْتَر ...

من وصية لحجة الإسلام :

ومن وصية للإمام الغزالي رضي الله عنه إلى أحد تلاميذه :

اعلم يا بُني ـ أطال الله بقاءك بطاعته ـ أن علامة إعراض الله عن العبد ،اشتغاله بما لا يعنيه . وأن امرأ ذهبت ساعة من عمره في غير ما خلق له ، لجدير أن تطول عليها حسرته .

النصيحة سهلة ، والمشكل قبولها ، لأنها في مذاق أتباع الهوى مُرَّة .

تيقن أن العلم الذي لا يصحبه عمل ، لا يأخذ باليد ـ أي لا ينجي ـ ولو أنك قرأت العلم مئة مرة ، وجمعت ألف كتاب ، لا تكون مستعداً لرحمة الله تعالى إلا بالعمل .

عِشْ ما شئت فإنك ميت ، وأحبب من شئت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنكَ مجزيّ به .

يجب عليك أربعة أمور :

اعتقاد صحيح ، لا يكون فيه بدعة .

وتوبة نصوح ، لا رجوع بعدها إلى المعصية .

واسترضاء الخصوم ، حتى لا يبقى لأحد عليك حق .

وتحصيل علم الشريعة قدر ما تؤدي به أوامر الله تعالى ، ثم من علوم الآخرة ، ما تكون به النجاة .

واعلم أن العبودية لله تعالى ، تتحقق بثلاثة أشياء :

أحدها : المحافظة على أمر الشرع .

والثاني : الرضا بقضاء الله تعالى وقدره وقسمته .

والثالث : ترك رضا النفس في طلب رضا الله تعالى .

وإذا وعظت غيرك ، فلا تتكلف في الكلام والعبارات والإشارات ، ولا يكن همك أن تجمع الناس عليك ، أو أن يُظهروا الوجد ويشقّوا الثياب ... بل ليكن عزمك وهمتك ، أن تدعو الناس إلى الله عز وجل ، والعمل للآخرة ، وأن تنقلهم من المعصية إلى الطاعة، ومن الغرور إلى التقوى، ومن ذميم الصفات إلى المحمود منها .

ولا تخالط الأمراء والسلاطين، وإذا ابتُليتَ بذلك، فدع عنك مدحهم وثناءهم، ولا تقبل شيئاً من عطائهم، فإن ذلك يفسد الدين، وتنشأ عنه المداهنة والموافقة في الباطل ...

وصية والد:

وشعر والد بدنوّ أجله ، فجمع أولاده ، وأمرهم بإحضار حُزمة من عصيّ ، فأحضروها ، فقال لأحدهم : اِكسرْ يا بني هذه العصي .

فحاول الابن ذلك بكل قواه ، فلم يستطع .

فقال له : أعطِها أخاك ، لعل في قدرته أن يفعل ما لم تفعل .

فحاول الثاني ذلك ، فلم يُفلح أيضاً .

وهكذا مرّت حزمة العصي من واحد إلى آخر ، كلٌّ يحاول كسرها فلا يستطيع .

فقال الوالد حينئذ : اعلموا يا بني أن هذا حالكم من القوة إذا اتحدتم ، ثم فرق العصي ، وناولهم إياها واحدة واحدة ، فكسروها بلا عناء .

فقال الوالد : هذه حالكم يا بني إذا تفرقتم ، وأنشد :

كونوا جميعاً يا بني إذا اعترى
خطبٌ ولا تتفرقوا آحادا
تأبى العصيُّ إذا اجتمعنَ تكسراً
وإذا افترقن تكسرت أفرادا

وصية حكيم :

وأوصى أحد الحكماء ابنه ، وهو يودعه للسفر :

أودعـــك الرحمنَ في غربتِـــكْ
مرتقبـــاً رُحمـــاه في أوْبتِـــكْ
فـــلا تُطِـــل حبـــلَ النـــوى إنني
واللهِ أشتــــاق إلى طلعتـــــك
واجعـــل وَصــــاتي نُصبَ عين ولا
تبرحْ مـــدى الأيـــام من فكرتـــك
وامشِ الهُـــوَينـــا مظهراً عفـــةً
وابـغِ رضـــا الأعين عن هيئتـــك

وانطِــــق بحيث العِيُّ مستقبَــــحٌ
واصمُتَ بحيث الخيرُ في سكتتــــك

ولِـجْ على رزقـــك من بـــابـــه
واقصـدْ لـه مـا عشتَ في بُكرتـك[١]

ووفِ كـــــلاً حقــــــه ولتكنْ
تكسرْ عنـد الفخر من حـدّتـك

وحيثمـــا خيمت فـــاقصــــد إلىَ
صحبــةِ من ترجــوه في نُصرتــك

فللرزايــــا وثبــــةٌ مـــالهــــا
إلا الــذي تَـذْخَر من عُـدتــك [٢]

ولا تقـــلْ : أسلمُ لي وحـــــدتي
فقـد تقـاسي الـذلّ في وحـدتـك

واعتبرِ النـــاس بـــألفـــاظهم
واصحب أخـاً يرغب في صحبتـك

---

(١) ولج : وادخل ، من الولوج وهو الدخول .

(٢) الرزايا : جمع رزية وهي المصيبة .

كم من صـــديـق مظهرٍ نصحَــــه
وفِكرهُ وقفٌ على عَثرتـــــــك
إيـــاك أن تقربـــه إنـــه
عَـونٌ مـع الـــدهر على كربتـــك
والشرَّ مهما استطعت لا تـــأتـــهِ
فـــإنـــه عَـوْدٌ على مُهجتـــك .

وصية أم :

وأوصت أمّ ابنتها عند زواجها فقالت :

يا بنيتي إن النصيحة لو تركت اعتماداً على فهم وذكاء وأدب ، لتركتها اعتماداً على فهمك وذكائك وأدبك ، ولكن ليس الأمر كذلك .

أي بنيّتي ! ليس زواج البنات ناشئا عن احتياج وضرورة ، فلو أمكن تركه لامرأة ذات ثروة وقدر ، لكنت أول من استغنى عن ذلك كله وتركه ، ولكن ليس الأمر كذلك .

فإن البارىء تعالى ، خلق الرجال للنساء ، كما خلق النساء للرجال .

يا بنيتي ! إنك تفارقين بيتك الذي منه خرجت ، وعشك الذي فيه درجت ، إلى رجل لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فكوني له أمة يكن لك عبداً ، وكوني له أرضاً ذليلة ، يكن لك سماء ظليلة .

وعليك بالقناعة ، وحسن السمع له والطاعة .

وتفقدي موضع عينه وأنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيب ريح .

وتفقدي وقت منامه وطعامه ، فإن تواتر الجوع مُلهب ، وتنغيص النوم مُغضب . وأحسني رعاية ماله، وحشمه وعياله، فملاك الأمر في المال حسن التدبير، وفي العيال حسن التقدير.

ولا تعصي له أمراً ، ولا تفشّي له سراً ، فإنك إن خالفت أمره ، أوغرت صدره ـ أي ملأته غيظاً ـ وإن أفشيت سره ، لم تأمني غدره .

ثم إياك والفرح بين يديه إذا كان مهموماً ، والكآبة بين يديه إذا كان فرحاً مسروراً .

واعلمي أنك كلما أظهرت له التعظيم والاحترام ، قابلك باللطف والإكرام ، وبقدر طاعتك لأمره ، تجتني ثمار ألطافه وعواطفه .

الطريق القويم في التربية :

أمر التربية خطير دقيق ، تقصر عنه عقول كثير من الآباء والأمهات اليوم ، فقد يعتبر كثير منهم أن التربية لا تبدأ إلا إذا بلغ الطفل سناً معينة ، هي سن التمييز أو بعدها ...

هذا خطأ فادح يقعون فيه ، ويقصرون في تربية أطفالهم في الصغر فينشأ الأطفال على عوج ، ثم يعجز الآباء والأمهات بعد ذلك عن تقويم العوج ، فينشأ الجيل ضعيف الإيمان ، هزيل الطاعة جريئاً على المعصية ، سيء الأخلاق .

ومن عجيب أمرهم بعد هذا ، أنهم ينهالون عليه باللائمة، واللوم عليهم لوعلموا، لا علىالجيل الذي ترك هملاً، بلا تربية صالحة ولا توجيه حسن.

ومن كلام السلف:(لو لا المربي ما عرفت ربي)

فمن الواجب إذن بيان التربية الصالحة ، منذ الخطوات الأولى ، ليكون الآباء ، والأمهات والمربون على بصيرة من أمر التربية ، ومنهاجها السديد ، فأقول :

قال الإمام الغزالي رضي الله عنه :

« إن الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة ، خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما ينقش فيه، ومائل إلى كل ما يُمال به إليه، فإن عُوّد الخير وعلمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه، وكل معلم له ومؤدب، وإن عُوّد الشر، وأهمل إهمال البهائم، شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة مربيه والقيِّم عليه » .

فينبغي أن يراعي المرء في أمر التربية مايلي :

المقدمات

أن يحسن الرجل اختيار الزوجة ، بأن تكون عاقلة تقية صالحة ، لأن الولد فرع له ، وللفرع حكم الأصل ، وإن الفرع بأصله يطيب .

قال الله تعالى : ﴿ **إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين، ذرية بعضها من بعض ...**﴾ [١]

وقديما قال الشاعر في عكس ذلك :

هــذي العصــا من تلكُم العُصبــهْ
لا تلــــد الحيـــةُ إلا الحيَّـــهْ

وأن يأكل من الحلال ، ويطعم زوجته من الحلال أيضاً ، لأن النطفة تنشأ من الدم ، والدم ينشأ من الغذاء ، وكل لحم نبت من سُحتٍ ـ أي من حرام ـ فالنار أولى به، ومن خلق للنار، عمل عمل أهل النار ، ولا تربية حينئذ تجدي، ولا تهذيب ينفع .

وان يدعو بالمأثور عند الجماع :

ففي الحديث الشريف :« لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال : « بسم الله ، اللهم جنّبنا الشيطان ، وجنّب الشيطان ما رزقتنا » .

---

(١) ٣٣ و ٣٤ ـ آل عمران .

فقضي بينهما ولد ، لم يضره شيطان أبداً . »[١]

وأن تعلقّ الأم رجاءها بالله تعالى-عند شعورها بالحمل-أن يكون جنينها في المستقبل، عالماً عاملاً تقياً صالحاً، وتحدّث نفسها بذلك ما استطاعت .

وأن تخالف الأم هواها في مشتهياتها أحياناً في أثناء الوحم ، فالجنين جزء منها ، ويتأثر مما تتأثر منه .

ما يفعل بالوليد

وأن يُفعَل بالوليد ما ورد في السنة :

عن أبي رافع رضي الله عنه قال :

رأيت رسول الله ﷺ ، أذّن في أذن الحسن بن علي رضي الله عنهما ، حين ولدته أمه فاطمة رضي الله عنها[٢] .

وزاد في رواية : وقرأ في أذنه سورة الإخلاص ، وحنّكه بتمرة[٣] .

---

(١) البخاري ومسلم .

(٢) الترمذي وغيره .

(٣) أي مضغ تمرة في فمه ، وأخذ منها وأدخلها في فم الطفل ، ودلك بها حنكه .

وقال بعض العلماء : يستحب أن يؤذّن في أذنه اليمنى ، ويقيم الصلاة في أذنه اليسرى .

وتسن التهنئة بالمولود، ومن المأثور فيها أن يقال للمولود له:

«بورك لك في الموهوب، وشكرتَ الواهب، ورزقت برّه، وبلغ أشده».

ويَردّ على المهنىء فيقول :

«بارك الله لك، وبارك عليك، وجزاك الله خيراً، ورزقك مثله» أو«أجزل الله ثوابك»ونحو هذا.

وأن يحسن اسمه ، ويَعُقّ[١]عنه يوم السابع، ويحلق رأسه، ويتصدق بوزن شعره ذهباً أو فضه[٢] .

وفي الحديث الشريف « إنكم تُدعَون يوم القيامة بأسائكم وأسماء آبائكم ، فحسنوا أسماءكم »[٣] .

---

(١) يذبح ذبيحة تسمى : العقيقة ، وهي الشاة التي تذبح يوم الأسبوع .

(٢) أبو داود وغيره .   (٣) أبو داود .

«أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن »[١] .

«تسمّوا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها حارث وهمّام، وأقبحها حرب ومُرّة[٢] .

وإنما كان حارث وهمام أصدق الأسماء ، لأن الحارث هو الكاسب ، والهمام هو الذي يهم مرة بعد أخرى ، وكل إنسان لا ينفك عن هذين .

وكان ﷺ يغيّر الاسم القبيح [٣] .

وكان لعمر رضي الله عنه ابنة يقال لها:«عاصية» فسماها رسول الله ﷺ «جميلة»[٤] .

ونهى ﷺ عن تسمية البنت : « بَرّة » وقال :
« لاتزكّوا أنفسكم ، الله أعلم بأهل البر منكم » .
فقالوا : بم نسميها ؟
فقال : سموها « زينب » [٤] .

---

(١) مسلم وغيره . (٢) أبو داود وغيره .
(٣) الترمذي وغيره . (٤) مسلم وأبو داود .

وغيّر رسول الله ﷺ اسم العاصي، وعزيز، وعَتَلَة وشيطان، والحكم، وحُباب، وشهاب .

فسماه: هشاماً، وسمى حرباً: سِلماً. وسمى المضطجع: المنبعث. وأرض تسمى: عَفرة: سماها: خَضرة، وشعب الضلالة سماه: شِعب الهدى. وبني الزنية سماهم: بني الرشدة، وسمى بني مغوية: بني رشدة .

قال العلماء : أما العاصي ، فإنما غيّره لمعنى العصيان ، وإنما سمة المؤمن الطاعة والاستسلام .

وأما العزيز ، إنما غيّره لأن العزة لله ، وشعار العبد الذلة لله والاستكانة له .

وعَتَلَة، معناها: الشدة والغلظ. ومنه قولهم: رجل عُتُلّ، أي شديد غليظ، ومن صفة المؤمن اللين والسهولة .

وشيطان : اشتقاقه من الشَّطَن ، وهو البعد من الخير ، وهو اسم المارد الخبيث من الجن والأنس .

والحكَم: هو الحاكم الذي لا ردَّ لحكمه، وهذه الصفة لاتُليق

إلا بالله تعالى ومن أسمائه: الحكَم .

والغُراب : مأخوذ من الغرب ، وهو البعد ، ثم هو حيوان خبيث المطعم ، أباح رسول الله ﷺ قتله في الحلّ والحرم .

والحباب : نوع من الحيات ، وروي أنه اسم شيطان .

والشهاب : الشعلة من النار ، والنار عقوبة الله .

وأما عَفِرة: فهي نعت الأرض التي لاتنبت شيئاً، فسماها: خضرة، على معنى التفاؤل، حتى تخضر .

ومما ينبغي العناية به تنظيم أوقات رضاع الوليد، فذلك يعود عليه بصحة،ويعوّده النظام .

وأن تستحضر الأم في أثناء رضاعه، أنه سيكون عالماً عاملاً، تقياً صالحاً .

وأن يعوّذ بما ورد في السنة :

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال :

كان رسول الله ﷺ يعوّذ الحسن والحسين ، ويقول :

«أعيذكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة [١] ومن كل عين لامّة» [٢] .

ويقول: إن أباكما إبراهيم عليه السلام، كان يعوّذ بها إسماعيل وإسحاق.

وفي الحديث الشريف : كان رسول الله ﷺ ، يتعوذ من الجان ، وعين الإنسان ، حتى نزلت المعوّذتان ـ أي سورتا الفلق والناس ـ فلما نزلتا أخذ بهما ، وترك ما سواهما [٣] . ،

ومن مأثور الدعاء لمن فزع في منامه :

«أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين [٤]، وأن يحضُرون» [٥] .

قال الترمذي راوي الحديث:كان عبد الله بن عمر رضي الله

---

(١) الهامة: وهي كل ذات سم تقتل، كالحية وغيرها من الحشرات.

(٢) العين اللامة: هي تصيب مانظرت إليه بسوء، وهذا وارد نقلاً.

(٣) الترمذي .

(٤) همزات الشياطين : نخسها وغمزها .

(٥) أبو داود والترمذي .

عنهما يعلمهن مَن عَقَل من بنيه، ومن لم يعقل كتبه فعلّقه عليه .

ولا تُعلّق على الأطفال ولا غيرهم التمائم : من خرزة زرقاء ونحوها ، اعتقاداً أنها تدفع العين أو تحفظ من ضر ، فذلك حرام ، واعتقاده باطل وجهل وضلالة ، إذ لامانع إلا الله ، ولا دافع غير ذكره .

وفي الحديث الشريف : « من عَلّق تميمة ، فلا أتم الله له ومن علّق ودعة فلا أودع الله له »[1] .

ومما تنبغي مراعاته العناية التامة بنظافة الطفل ، في مأكله ومشربه ، وفي بدنه وثيابه ، وكل ماله علاقة به .

وأن لا يُعطى الحلمة الصناعية الكاذبة ، تلهيةً له ، لئلا تغرس في نفسه الكذب ، لأنه إنما يُعطاها إيهاماً له أنها ثدي أمه .

وأن لا يُعوّد هزاً في سرير ، ولا على الأيدي ، وأن لا

---

(١) أحمد وأبو يعلى .

يُحمَل كلما بكى .

وأن تعالج فيه الغيرة من أخيه الصغير أو أخته ، وذلك بتحبيبه إليه ، فيعطى حلوى ، ويقال له : هذه من أخيك ، ويُعطى لعبة ، ويقال له : هذه من عند أختك . وأخوك يحبك ، وأختك تحبك ...

وأن يُكَفّ عن اللعب ساعة بعد المغرب لأنها ساعة تنتشر فيها الشياطين.

مما يراعى بعد ذلك :

أن يتفق الأبوان على منهاج التربية ، لأنّ الاختلاف يضر بالطفل ضرراً بالغاً ، وأن تكون معاملتهما إياه واحدة لا تختلف ، فمن سوء التربية أن يكون هذا يوافق ، وهذه تخالف ، والأم تعطي ، والأب يمنع ... أو العكس .

والحذر من معاملة الجد والجدة ونحوهما من سائر الأقارب للأطفال معاملة تخالف معاملة الأبوين، ففي ذلك تخريب لما يبنياه.

وأن يُناول ما يُعطاه من لعبة أو مأكل بيده اليمنى ، ليتعود الأخذ باليمنى ، والإعطاء باليمنى ، والأكل باليمنى من أول الأمر .

وإذا نقل المأكل إلى اليسرى ، نُزع منه بلطف وحُوّل إلى اليمنى .

وأن نُلبسه ما نُلبسه من ثوب أو قميص أو معطف أو سروال أو جورب أو حذاء ، مبتدئين باليمنى ، وأن ننزعها عنه حين ننزعها مبتدئين باليسرى ، ليتعود ذلك حين يلبس لنفسه وينزع لنفسه .

وأن ينهى عن النوم على بطنه .

وأن يُحوّل عن القبلة عند قضاء الحاجة في الأصيص ـ المستعملة ـ ويستر رأسه ، فكل ما ينهى عنه المسلم في الكبر ، يجب على أبويه أن يجنباه إياه في الصغر .

ـ وأن يُجنّب لبس القصير من الثياب والسراويل ، لينشأ على ستر العورة ، والحياء من كشفها .

وأن يخالف هواه أحياناً ، بمنعه مما يطلب من لعبة أو مأكل ، ويعوَّد الجواب من أبويه بقولهما : « نعم » فيفعل ، أو قولهما : « لا » فيمتنع راضياً غير ساخط .

وأن يمنع من مصّ ، أصابعه ، وعضّ أظافره .

وأن يُعوَّد غسل اليدين قبل الطعام وبعده .

والاعتدال في المأكل والمشرب ، ومجانبة الشّرَه وكراهية الشّرَه .

والامتخاط في منديل باليد اليسرى ، وكذلك حمل الحذاء والتقاط الأوساخ .

وأن يُنهى عن اللعب بأنفه .

ويُعوّد أن يسمي الله تعالى عند البدء بالطعام والشراب،وأن يحمد الله تعالى عند الفراغ منهما .

وأن يأكل مما يليه ، ولا يبادر إلى الطعام قبل غيره .

وأن لا يحدّق النظر إلى الطعام، ولا إلى من يأكل .

وأن لا يسرع في الأكل، وأن يجيد المضغ .

وأن لا يوالي بين اللقم، ولا يلطخ يده ولا ثوبه بما يأكل .

٨٠ .

وأن يُعوّد الخبز القفار وحده ـ أي لا أدم معه ـ أحياناً، حتى لا يصير بحيث يرى الأدم حتماً لازماً .

وأن يأكل من الطعام ما وجد، ولا يتشهّى مالا يجد .

وأن يخرج النوى بيده اليسرى ، ولا يجمع بينه وبين الثمر في إناء واحد .

وأن يعوِّد نظافة فمه باستعمال السواك أو الفرجون المعروف، بعد كل طعام، وقبل النوم، وبعد الاستيقاظ .

وأن يعود القناعة بإعطائه المشتهيات واحدة واحدة، وأن لايمكّن من ملء يديه منها .

وأن يحبب إليه الإيثار بالطعام وبالمحاب من المآكل وغيرها ، فيعوّد إكرام إخوته وأقاربه الصغار، وأولاد الجيران إذا رأوه يتمتع بشيء منها .

وأن لايعود الخروج مع أمه أو أبيه أو أخيه دائماً كلما خرج أحدهم في حاجة، بل يوافق تارة، ويخالف أخرى .

وأن يعوِّد النطق بالشهادتين ، وتكرارهما في كل يوم مرات .

وأن يعوِّد حمد الله بعد العطاس، وتشميت العاطس متى بدأ يتكلم .

وأن يكظم فمه عند التثاؤب، جاعلاً ظهر يده اليسرى على فمه، ولا يقول: ها، ها .

وأن يعـوِّد الشكر على المعروف إذا أسـدي إليـه مهما كان يسيراً .

وأن لا ينادي أمه وأباه باسمهما ، بل يعوِّد نداءهما بلفظ : أبي ، وأمي .

وأن لا يمشي أمـام أبويـه أو من هو أكبر منـه في الطريـق ولا يدخل قبلهم إلى مكان تكريماً لهما واحتراماً .

وأن يعود السير على الرصيف، لا في وسط الطريق، وينهى عن التلهي في الطريق، وعن التلفّت يميناً وشمالاً، وعن الركض فيه .

وأن لايرمي الأوساخ في الطريق، بل يميط الأذى عنه من حجر أو شوك أو عظم أو قشرة بطيخ ونحوها .

وأن يسلم بأدب على من لقيه بقوله: السلام عليكم، ويرد السلام كذلك .

وأن يلقّن الألفاظ الصحيحة ، ويعوَّد النطق باللغة الفصحى .

وأن يعود الطاعة إذا أمره أحد أبويه بشيء، أو من هو أكبر منه، من فعل شيء أو تركه، فإن تربية الطفل على طاعة أبويه وذويه منذ صغره، مرَانة له على طاعة الله تعالى، وطاعة رسوله ﷺ في كبره .

ومن تمرد على أبويه وأقاربه وتعود المخالفة في الصغر، مهّد له ذلك مخالفة الله تعالى، ومخالفة رسوله، والتمرد على أوامرهما في الكبر .

وأن يعالج فيه العناد، برده إلى الحق، طوعاً إن أمكن، وإلا فالإكراه على الحق، خير من بقاء العناد والمكابرة .

وأن يشكره أبواه على امتثال الأمر عند الامتثال، وعلى اجتناب النهي عند الاجتناب، وأن يكافئاه أحياناً على ذلك بما يحب من مأكل أو لعبة مباحة...

وأن يحبّب إليه الألعاب المباحة : من كرة وسيارة صغيرة وطائرة ... وتُكرّه إليه الألعاب ذوات الصور المحرمة من إنسان وحيوان ؟ ..

وأن يعود احترام ملكية غِيره، فلا يمد يده إلى مال غيره، ولو كانت لعبة أخته، أو كرة أخيه...

وأن يجتنب الأبوان الاختلاف في شأن ما أمام الأولاد لأن ذلك يُذهب هيبة الأبوين ، ويجرّئ الطفل عليهما .

في سن التمييز :

وأن يعلّم في سن التمييز التوقّي من النجاسات، ويُعلّم كيفية الاستبراء والاستنجاء، وكيفية الوضوء بصورة عملية .

وأن يؤمر بالصلاة، ويُعلّم كيفيتها بصورة عملية أيضاً .

وأن يصحبه أبوه معه إلى المسجد لصلاة الجماعة، ويُعرّفه

حرمة المسجد، وأن يدخل المسجد باليمنى، ويخرج منه باليسرى .

وأن يعوِّد إجابة المؤذن، والصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان، ودعاء الوسيلة. ويُذكّر بذلك دائماً ليعتاده .

وأن يعوَّد المحافظة على التسبيحات الواردة بعـد كل صلاة مفروضة .

وأن يؤمر بالصوم كذلك، ولو في بعض أيام رمضان إذا أطاق الصوم .

وأن يُشجَّع على الصلاة والصيام بإقامة حفلة يدعى إليها الأقارب في أول صلاة يصليها، وأول يوم يصومه، وتُقدّم إليه الهدايا، ويكرم المحتفلون بضيافته .

وأن تُذكَر له الجنة، وأنها دار المؤمنين الطائعين في الآخرة، ويذكر له ما فيهامن أنواع النعيم .

وتذكر له النار، وأنها دار الكافرين العاصين في الآخرة ويذكر له ما فيها من أنواع العذاب.

وأن يحفّظ ما تيسَّر من القرآن الكريم، وأن يختار له من الأحاديث النبوية الشريفة ما يتناسب مع مداركه، يَحفظهَ ويردده، ويلقيه على أقاربه وذويه أحياناً، ويُقَصّ عليه من حكايات الصالحين .

وأن يؤكد عليه في أمر النظافة العامة، ولا يسامح بتسويد الجدران بقلمه .

وأن يُستر إذا وقع في مخالفة، ولا يكاشَف بها من أول مرة، فإذا عاد إليها ثانية، فينبغي أن يعاتَب سراً، ويحذَّر من العودة إليها .

وإذا تكرر ذلك، فلا بأس بعرك أذنه، والتعبيس في وجهه، وأمره بالوقوف إلى الجدار دقائق عقوبة له .

وأن يهجره أبوه في الكلام أياماً، ويأمر أمه وإخوته بذلك، إذا دعت الضرورة إليه .

ولا بأس بالضرب غير المبرّح، إذا دعت الحاجة إليه أيضاً، فهو بمنزلة الدواء المر ، الذي تُجرّعه الطفل أحياناً للضرورة

فتقويم العوج بأي وسيلة كانت، خير من بقائه والاستمرار عليه .

وسن الصغر قابل لتقويم العوج .

قال ابن دُرَيد في مقصورته :

يقوم الشارخ[1] من زيغانه
فيستوي ما انعاج منه وانحنى

والشيخ إن قوّمته من زيغه
لم يُقم التثقيف[2] منه ما التوى

كذلك الغصنُ يسيرٌ عطفهُ
لَدْناً[3] ، شديدٌ غمْزه[4] إذا عسا

وينبغي للأم أن تخوف الطفل بأبيه، وأن تكون لها هيبة الأب أيضاً .

---

(١) الشارخ : الشاب الحدث .

(٢) التثقيف : تقويم العوج .

(٣) لدناً : حال كونه ليناً .

(٤) الغمز : اللمس باليدين ، والتقويم .

ولتحذر الأم من إعلان عجزها عن ولدها إذا عصاها فإن ذلك يُغريه بالمخالفة ، ويشجعه عليها .

وإذا تخلف الطفل عن الاستجابة للخير أحياناً، فعلى مربيه أن يستعمل معه أسلوب الترغيب والترهيب: فيرغبه في الفضيلة، ويَعِده المكافأة عليها أحياناً، وإذا تخلف عنها خوفه العقوبة. فالإنسان مفطور على الرغبة والرهبة، ولهذا أعدّ الله لعباده جنة وناراً، وقدر ثواباً وعقاباً.

وليحذر الوالدان من رشوة الطفل في شأن من الشؤون :

مثل أن يقال له: خذ هذه الحلوى، وافعل في مقابلها كذا وكذا...

أو خذ هذه القطعة من النقود، واكفف عن الضوضاء .

لأن الطفل إذا عرف أن هذه العروض تتبع مخالفته للأوامر، كان من الطبيعي أن يعمل على الحصول عليها قبل تلبية كل أمر، بل إنه إذا تشبث بموقفه، فقد يكون كسبه أكبر .

وأن يعود الخشونة في المفرش والملبس والمأكل .

ويعود المشي والحركة والرياضة، حتى لا يغلب عليه الكسل، ويؤذن له بعد الانصراف من المدرسة أن يلعب لعباً جميلاً، يستريح إليه من تعب الدرس، لأن منع الصبي من اللعب يميت قلبه، ويبطل ذكاءه، وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه .

وأن يراقَب في لعبه، ليرشَد إلى الاتزان فيه والاعتدال .

وأن يعود الاستقلال الذاتي، والشعور بالمسؤولية في ترتيب لعبه وكتبه، وكل ما يتعلق به.

وأن تعود الطفلة الاستقلال الذاتي والشعور بالمسؤولية في ترتيب ما يتعلق بها، وببعض أعمال البيت، وترتيب أثاثه، وتحقيق نظافته .

وأن لا يُقارَن بين طفل وآخر ، فيُمدح أحدهما ويُذَم الآخر ، على مسمع منهما ، ولا بين طفلة وأخرى ، فقد تكون الفوارق التكوينية بينهما مختلفة ، والمواهب متفاوته ، فيؤثر ذلك في معنويات الأطفال ، ووهن شخصياتهم .

وأن لا يفتخر على أقرانه بشيء من مطاعمه وملابسه

وأدواته ، بل يُعود التواضع والإكرام لمن عاشره ، والتلطف في الكلام معهم .

وأن يُمنع من أن يأخذ من الصبيان شيئاً، ويُعلّم أن الرفعة في الإعطاء لا في الأخذ، وأن الأخذ لؤم وخسة ودناءة .

وأن لا يخرج بالفاكهة ونحوها إلى حيث يراه الأطفال من أقارب أو أولاد جيران أو نحوهم، إلا أن يطعمهم منها، لأن رؤيتها تحرك فيهم الشهوة إليها، وقد لايجدون، والحرمان يؤذيهم .

وأن لا يعود الوقوف على باب الدار ، ولا الخروج إلى الشارع العام ، فذلك يعرضه للضياع من جهة ، ولسماع ألفاظ السوء والبَذاء من أبناء الشوارع .

وأن لا يُعوّد حب المال ، فيتعلق قلبه به منذ الصغر ، ويقوى ذلك في نفسه كلما شب الطفل وترعرع .

وإن ما اعتاد بعض الأطفال من اقتناء حصّالة للنقود-مطمورة-حسنٌ من جهة، ليتعود حفظ المال، فلا يضيع

كل ما يصل إليه منه في شراء اللُعب والمشتهيات، وخطيرٌ من جهة أخرى، إذ يحبب إليه المال، ويعوده الشح به .

فإن كان ولا بد ، فليعود الإنفاق منه أحياناً في وجوه البر : من صدقة ، وإحسان إلى يتيم ، أو جار فقير ، أو مساهمة في مشروع خيري كبناء مسجد ونحوه .

وأن لايمكن من فعل شيء خفية ، فإنه لايخفيه إلا لاعتقاد السوء فيه ، فإذا فعل ذلك ، وغُفِل عنه ، تعود السوء ، وتمكن فيه ، واحتال له .

وأن لايعود الحلف صادقاً ولا كاذباً .

وأن لايتدخل فيما لايعنيه من قول أو فعل ويجتنب الفضول .

وأن يُجنّب لغو الكلام وفحشه ، واللعن ، والسب ، ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك .

وأن يعوّد قلة الكلام ، ويحذر من كثرته .

وأن يعود حسن الاستماع إذا تكلم غيره ، ولا يقطع عليه الحديث .

وأن يعود السكون عند حضور ضيف ، وعند إقامة صلاة .

وينهى عن المرور بين أيدي المصلين .

وأن يقوم لمن فوقه سناً أو علماً ، ويوسع له في المكان ويجلس بين يديه .

وينبغي تحذير الطفل من معلمي السّوء في المدارس ، وسؤاله عما يُلقى إليه فيها ، لتثبيت الصواب ، ونفي الخطأ .

وأن يمنع الطفل الدخول على النساء الأجنبيات ، منذ سن التمييز ، ومن مصافحتهن ، حتى بنت عمه وبنت خاله وزوجة أخيه ... فإنهن أجنبيات .

وأن تُعود البنت الحجاب منذ الصغر، فلا يؤذن لها بالدخول على رجل أجنبي من ضيف وغيره، ولو كان ابن عمها ، أو ابن خالها ، أو صهرها ـ زوج أختها ـ فضلاً عن

الأباعد ، لتتعود الحجاب منذ الصغر . ولتعلم أن الحجاب من شأن المرأة .

وأن تمنع من مصافحة المذكورين وسائر الأجانب .

وأن يُنفِّر الطفل من لبس الذهب . ويعرَّف أنه حرام على الرجال .

وأن يعود الصدق ، ومجانبة الكذب في الجد والهزل ، وفي جميع الأحوال ، لأن الصدق من أمهات الفضائل ، كما أن الكذب من أمهات الرذائل .

وفي الحديث الشريف :« ومن قال لصبي : تعال هاك -أي خذ- ثم لم يعطهِ فهي كذبة[١] » .

وعن عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال :

دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطيك .

فقال لها رسول الله ﷺ :« ما أردتِ أن تعطيه ؟»

---

(١) أحمد وغيره .

قالت : أردت أن أعطيه تمراً .

فقال :« أما إنك لو لم تعطيه شيئاً ، كُتبتْ عليك كذبة[١] ».

فليعلم الآباء والمربون هذا . وليذكروا أن المجتمع اليوم ، قائم في كثير من أحواله على الكذب :

تسأل بعض البائعين عن جودة بضاعته ؟

فيقول: هي أجود ما يكون، وليس في البلد مثلها، وهو كاذب .

وتسأله عن رأس ماله في سلعة ، فيخبر كاذباً .

وينادي بعض البائعين فيقول :

تعالوا إلى ما يساوي الليرة بنصف ليرة وهو كاذب .

وتسأل عاملاً متى يتم عمله ؟

فيعدك كاذباً ، وتذهب إليه مرة بعد أخرى ، ولا ينجز العمل في الوقت المحدد .

---

(١) أبو داود والبيهقي .

وتسأل بعض البنائين : كم يكلّف بناء بيت مثلاً ؟

فيقول : « كذا وكذا » ويكذب ، فيكلفك أضعاف ما قال .

وتدخل إلى عيادة طبيب، فلا تجده، فتسأل المساعد: متى يجيء ؟

فيقول : بعد دقائق ، ويكذب ، فيتأخر ساعة أو أكثر .

وتسأل المرأة عن عمر ابنتها ، فتكذب وتخبر بأقل من الواقع .

وتطرق الباب على رجل ، فيخرج إليك ولده ، فتسأله عن أبيه ؟

فيعود إليه ، فيقول : قل له ليس هنا .

وتقول أم لطفلها إذا أرادت أن تجرّعه دواء : إنه حلو لذيذ .

فيشربه مطمئناً إلى قولها ، فإذا هو مرّ كريه .

وقد تقول له إذا أرادت أن تحقنه إبرة : إنها لاتؤلمه هذه المرة .

فتحقنه إياها ويتألم .

ويشكو الطفل أخاه إلى أمه أو أبيه، فيدير إليه ظهره، ويضرب كفاً على كف، يوهمه أنه يضربه عقوبة له، فيتلقى الطفلان معاً صورة من صور الكذب .

ويتخلف الطفل عن المدرسة يوماً، فينتحل الأب للمعلم عذراً كاذباً يسمعه الطفل .

وكثيراً ما يشكّ الأب في صدق الأم ، أو الأم في صدق الأب في شأن من الشؤون ، على مسمع من الطفل ، فيتصور وقوع الكذب من أمه وأبيه .

وقد يشرك الرجل ولده في مخادعة أمه ، وتشرك الأم ولدها في مخادعة أبيه ، فيطلب الأب من ابنه أن لايخبر أمه بكذا وكذا ، وإذا سألته عنه أن ينكر . أو العكس .

وكل هذا وماشابهه يعوّد الطفل الكذب ، ويبعده عن فضيلة الصدق ومنهاج الصادقين .

وينبغي أن لايكلّف الطفل مالا يطيق جسماً ، كتكليفه

أن يحمل حملاً ثقيلاً .

ولا مالا يطيقه عادةً: كتكليفه أن يجلس ساعة بلا حراك .

ولا مالا يطيقه عقلاً : كتحفيظه من العلوم مالا يدركه ولا يفهمه .

وأن يربّى على التوكل ، فيقال له :

إن الله تعالى هو الذي يرزقنا، وهو الذي يعافينا، وييسّر أمورنا، ويوفقنا لما يحب، وهو الذي بيده الخير كله، فينبغي ان نلجأ إليه، ونتوكل عليه .

على أننا مأمورون بتعاطي الأسباب : فنسعى في طلب الرزق ، ونتعاطى أسبابَ الشفاء ، ونجاهد أنفسنا على التقوى ، والعمل بما يرضيه .

وينبغي أن يعود الطفل النظام والانتظام ، وينهى عن الفوضى ، ومزاحمة الناس في كل شأن .

ومن ذلك أن يرتب ألعابه ، ويضعها في موضعها الخاص

بها ، كما ينبغي أن يرتب كتبه ودفاتره وأقلامه ، ولا يدعها مبعثرة هنا وهناك .

وأن يربّى على الشجاعة ، ولا يذكر أمامه الخوف ، ولا يخوف بالأكاذيب والأوهام ، بل يعود أن يخرج ليلاً لقضاء حاجته وحده .

وإذا لم يُراعَ ذلك ينشأ جباناً رعديداً ، يفزع من انطباق باب ، او هبة ريح ، أو صيحة عابرة ، أو ظلمة ليل .

وأن يُجنَّب اللعب بالميسر ، وقد كثرت أنواعه اليوم .

وأن يحذر من شراء أوراق اليانصيب ، لأنها من الميسر المحرم .

وليحذر الآباء والأمهات والمربون من التناقض في تربية الطفل :

يأمرونه بالصدق مثلاً ، ويكذبون .

وينهونه عن التدخين ، ويدخّنون .

ويأمرونه بالشيء مرة ، وبضده أخرى .

فيتبلبل في معرفة حُسن ما أُمِرَ به أو قبحه ، وخيره أو شره .

وينبغي للأب أن يخصص وقتاً يجلس فيه إلى زوجته وأولاده يؤنسهم ويسلّيهم ، ويعلمهم ويربيهم ، ويقص عليهم حكايات توجيهية مسلية .

ويجنّب الطفل دور السينما محافظة على دينه وأخلاقه . فان أكثر ما يُعرض في هذه الدور الوضيعة أفلام اللصوصية والخلاعة والمجون، مما يثير الغرائز الجنسية، ويفسد الأخلاق .

وحسبك دليلاً على ما نقول هذه اللافتات التي تعلّق على أبوابها ، وفي الشوارع الكبرى ، تعلن عن أفلامها الساقطة ، بصور عارية ، وأوضاع خبيثة ، يندى لها جبين الفضيلة والشرف .

وأن يحفظ سمعه من حكايات الإجرام والتعدي والأذى لئلا يتجرأ على مثلها .

في سن المراهقة:

ينبغي أن يملأ فراغه بما يعود عليه نفعه من المطالعة والدرس ، أو عمل يدوي يوجّهه إلى صناعة ما ، فملء الفراغ شاغل عن خواطر السوء .

وأن تقوّى رغبته في تلاوة القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والسيرة النبوية الكريمة ، وحياة الصحابة والسلف الصالح .

فإن هذه المطالعة الصالحة تحمل الناشىء على حب الرسول صلى الله عليه وسلم، وحب الصحابة والسلف الصالح، وعلى الاقتداء بهم .

وكثيراً ما يدفع الناسَ إلى العمل الجليل حكايةٌ يقرءونها عن رجل عظيم ، أو حادثة يسمعونها عنه .

وأن لايسمح له بقراءة كل قصة، ولا مطالعة كل كتاب، بل تُختار له الكتب العلمية الصحيحة، والقصص الأخلاقية الصالحة .

وأن يُحذَّر من الاغترار بعقله وفهمه ، فيحرم الانتفاع بعقول الناس وأفهامهم ، ويقع في الخطأ ، ويحرم الصواب .

وأن يحبب إليه اتباع السنن النبوية، والآداب الإسلامية وينفرّه من تقليد الأجنبي، حتى ينشأ على حب السنة وكراهية البدعة، ومخالفة غير المسلمين في أزيائهم ومظاهرهم .

وأن يَذُمّ عنده المخنّثين من الرجال ، ويبين له أن من التخنث الأثيم ، حلق الرجال لحاهم ، ليرغب في إطلاق لحيته متى ظهر عذاره .

وأن يُذمّ عند البنت النساء المترجلات ، اللاتي يلبسن لبسة الرجال ، ويظهرن مظهر الرجال .

وأن يختار الوالد لولده رفاقاً صالحين مهذبين، ويحذره من رفاق السوء ، فعدوى الأخلاق أشد فتكاً من عدوى الأمراض

وصحبة الأخيار تربي الخير في نفوس من يصاحبهم ، لأن الإنسان مولع بالتقليد ، فكما يقلد من حوله في أزيائهم ،

يقلدهم في أعمالهم . ويتخلق بأخلاقهم .

وحسبنا في هذا قول الرسول ﷺ :

« المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل [١] »

وفي هذا قال الشاعر :

واحــذر مصــاحبــة اللئيم فــإنــه
يُعــــدي كما يُعــــدي السليمَ الأجربُ

بعد البلوغ :

الزواج - وإذا بلغ الناشىء سنّ النكاح ، واستوى واشتد عوده ، وأظهر رغبة في الزواج ، فينبغي أن يختار له أبواه الزوجة الصالحة .

وإذا بلغت البنت سن النكاح ، فينبغي أن يختار لها أبوها الزوج الصالح ، ولا ينتظر من يأتيها من الخاطبين ، فقد يغفل عنها الخاطب الصالح ، ويخطبها غير الصالح .

وتسن هنا الاستخارة ، وهي صلاة ركعتين ، ثم الدعاء

---

(١) رواه أبو داود والترمذي .

بالمأثور [١] . فإن انشرح صدره أقدم ، وإلا أحجم .

المثل الأعلى :

وينبغي أن يوجّه الشاب لتكوين مثل أعلى ، يسعى لتحقيقه ، ويوجّه أعماله للوصول إليه ، وذلك لأن الإنسان في هذه الحياة ، كقائد السفينة في البحر المتلاطم الأمواج ، لايمكن أن يصل إلى المرفأ ، حتى يعرف أين المرفأ ، ويرسم خطة للوصول إليه ، وإلا تنكب الطريق السوي الموصل إليه ، وكانت سفينته عرضة للارتطام .

وكذلك يحيط بالإنسان قوىً مختلفة: شهوات تتجاذبه، وصعوبات تعترضه، ومؤثرات متباينة... فإن لم يحدد غرضه، ويعيّن مثلهُ الأعلى، تقسّمته هذه القوى، واضطربت مسالكه، وضاعت حياته سدى .

---

(١) انظر كتاب الأذكار للإمام النووي . وهو من الكتب التي ينبغي أن تقتنى ، وينتفع بها .

اختلاف المثل العليا:

وتختلف المثل العليا عند الناس اختلافاً كبيراً :

فهذا مثله الأعلى رجل غني ، متمتع بكل ملاذّ الحياة .

وذاك مثله الأعلى إنسان كامل العقل ، عظيم العلم ، واسع المعرفة .

وآخر مثله الأعلى إنسان ذو منصب رفيع ، ورتبة عالية وجاه عريض .

وخير المثل العليا ما هدف إلى الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر وسعادة الأبد .

ولتكوين المثل الأعلى عوامل ، أهمها الدين .

فينبغي أن يبدأ الأبوان بتكوين المثل الأعلى لأولادهما منذ النشأة المنزلية الأولى ، فيلقّناه الإيمان بالله وباليوم الآخر ، وكلما نما الطفل وترعرع ، عمل الأبوان على تنمية هذا المثل الأعلى ، بذكر الله تعالى ، ولزوم طاعته ، وامتثال أمره واجتناب نهيه ، ثم بدعوة الناس إليه ، وبذل النفس والنفيس

وجميع القوى في سبيل الوصول إلى تحقيق هذا المثل الأعلى الرفيع .

والمثل الأعلى إذا كان سامياً بلغ الإنسان مرتبة الكمال ، وبعث فيه روح العمل ، وزاد في نشاطه وقوته والثبات عليه ، وجعل حكمه على الأشياء صحيحاً .

فبالمثل الأعلى يزن الخير والشر ، والحق والباطل ، ويحكم بالصواب أو الخطأ .

فينبغي للآباء المسلمين أن يوجهوا أولادهم ليكون مثلهم الأعلى الإسلام، فينشئوا عليه، ويعملوا به، ويتأدبوا بآدابه، ويتخلقوا بأخلاقه، ويكونوا الدعاة إليه بالأقوال والأفعال .

القدوة الحسنة :

من أهم ما ينبغي أن يراعى في أمر التربية ، أن يكون الأبوان قدوة صالحة لأولادهما ، وأسوة حسنة لهم ، في الأقوال والأفعال والأخلاق ، لأن كل ما يقال أو يفعل أمام الطفل ، إنما هو من تربيته .

فالطفل إذا نشأ في بيئة صالحة من بيت طيّب ، ومدرسة مهذّبة ، ورفاق مؤدّبين ، نبت خير منبت ، وكوّن أحسن تكوين ، والعكس على العكس .

رعاية اليتيم:

مما يبتلي الله تعالى به عباده تقديرُ اليُتم على بعض الأطفال من بنين وبنات ، ليختبر رحمة القريب ، والجار والبعيد بهم ، وشفقته عليهم .

فأوصى باليتامى خيراً في كتابه، وأوصى بالعطف عليهم، وحض على إطعامهم وحسن رعايتهم، فقال عز وجل:

﴿ يسألونك ماذا ينفقون قل ماأنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم ﴾ [1] .

﴿ ليس البرَّ أن تولوا وجوهكم قِبَل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر

---

(١) ٢١٥ ـ البقرة .

والملائكة والكتاب والنبين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ... ﴾ [١]

وقال تعالى في معرض الثناء :

﴿ ويطعمون الطعام على حُبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ﴾ [٢]

وحضّ على إطعام اليتيم فقال :

﴿ وما أدراك ما العقبة فكّ رقبة أو إطعامٌ في يوم ذي مَسْغَبة ﴾ - أي مجاعة - **﴿ يتيماً ذا مقربة ، أو مسكيناً ذا مَتْربة ﴾** - أي فقر - [٣] .

ونهى عن قهر اليتيم فقال:**﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾**[٤] .

وذمّ قوماً فقال : **﴿ كلا بل تكرمون اليتيم ﴾**[٥]

---

(١) ١١٧ - البقرة .

(٢) ٨ - الإنسان .

(٣) ١٥ - البلد .

(٤) ٩ - الضحى .

(٥) ١٧ - الفجر .

﴿ أرأيت الذي يكذب بالدين، فذلك الذي يَدُعّ اليتيم﴾[١]

أي يدفعه ويقهره ويظلمه ، وذلك أنهم كانوا في الجاهلية لايورّثون النساء ولا الصغار .

وأمر بإيتاء اليتيم حقه، وبحسن رعايته، فقال عز وجل: ﴿ وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث ﴾ - يعني الحرام - ﴿ بالطيب ﴾ - يعني الحلال - ﴿ ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً ﴾ - أي إثماً - ﴿ كبيراً ﴾[٢] .

وهذه الآية خطاب للأولياء والأوصياء : نزلت في رجل من غطفان ، كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم ، فلما بلغ اليتيم طلب المال ، فمنعه عمه ، فنزلت الآية : فقال العم : نعوذ بالله من الحوب الكبير - وردّ المال .

وقال تعالى :﴿ وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا

(١) من سورة الماعون .

(٢) ٢ - النساء .

النكاح ، فإن آنستم منهم رشداً[1] فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافاً وبِداراً أن يكبروا[2] . ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف ، فإذا دفعتم إليهم أموالهم ، فأشهدوا عليهم ، وكفى بالله حسيباً ﴾[3] .

نزلت في ثابت بن رفاعة ، وفي عمه ، وذلك أن رفاعة تُوفي ، وترك ابنه وهو صغير ، فأتى عم ثابت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

إن ابن أخي يتيم في حجري ، فما يحلُّ لي من ماله ؟ ومتى أدفع إليه ماله ؟

فأنزل الله تعالى هذه الآية ، يأمر باختبار اليتامى في أموالهم بعد البلوغ ، فإن توسموا فيهم الخير والرشاد وحسن

---

(١) أي صلاحاً في العقل والدين وحفظ المال .

(٢) أي مبادرة كبرهم ، يعني لا تأكل مال اليتيم وتقول : أبادر لئلا يرشد ويأخذ ماله .

(٣) ٦ ـ النساء

التصرف فيها ، وجب على الوصي تسليم ماله إليه .

وإن أساء النظر فيه ، وجب عليه إمساك ماله عنده .

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إني فقير ليس لي شيء ، ولي يتيم .

فقال :« كل من مال يتيمك غير مسرف ، ولا مبادر ولا متأثّل »[١] .

أي غير جامع لنفسك من ماله .

وقال تعالى:﴿**إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً**﴾[٢] .

نزلت في الكفار الذين لا يورّثون النساء ولا الصغار، وفي ذلك تهديد ، ووعيد شديد .

وقال تعالى : ﴿ **ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ...** ﴾[٣] .

---

(١) أبو داود .

(٢) ١٠ ـ النساء .

(٣) ١٥٢ ـ الأنعام و ٣٤ ـ الإسراء .

فلا يجوز التصرف بمال اليتيم إلا بما فيه صلاحه وتثميره، وذلك بحفظ أصوله وتثمير فروعه، حتى إيناس الرشد منه. فلو مُكّن اليتيم من ماله قبل الرشد، لأذهبه في شهواته، وبقي صعلوكاً لامال له.

وخص اليتيم بهذا الشرط، لغفلة الناس عنه، وافتقاد الآباء لأبنائهم، فكان الاهتمام بفقيد الأب أولى.

وفي الحديث الشريف:

«أنا وكافل اليتيم [١]في الجنة هكذا» وأشار بالسبابة والوسطى وفرّج بينهما[٢].

«كافل اليتيم له أو لغيره، أنا وهو كهاتين في الجنة»[٣].

وأشار الراوي بالسبابة والوسطى.

وفي هذا حضٌ على رعاية اليتيم وكفالته، سواء أكان قريباً للكافل، كأمه وجده وأخيه، أم غير قريب.

---

(١) أي القائم بأموره.

(٢) البخاري.

(٣) مسلم.

وفي الحديث الشريف أيضاً :

« اللهم إني أحرِّج حق الضعيفين : اليتيم والمرأة » [١] .

ومعنى أحرِّج : أُلحق الحرج ، وهو الإثم بمن ضيع حقهما ، وأحذِّر من ذلك تحذيراً بليغاً ، وأزجر عنه زجراً أكيداً .

رحمة الآباء والأمهات بالأولاد:

قص الله تعالى علينا خبر نوح عليه السلام حين أمره بصنع السفينة ، لينجو بها المؤمنون يوم الطوفان ، فخاف نوح على ولده من الغرق ، وأدركته عليه الرحمة ، وأخلص له النصح ، فقال :

﴿يا بني اركب معنا ، ولا تكن مع الكافرين﴾

فأبى وقال : ﴿ سآوى إلى جبل يعصمني من الماء ... ﴾[٢] .

وقص الله علينا خبر يعقوب عليه السلام حين قصَّ عليه

---

(١) النسائي .

(٢) ٤٢ ـ ٤٣ هود .

يوسف عليه السلام رؤياه :

﴿ قال يابني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً ... ﴾[١].

ولما سأله أولاده أن يرسل معهم أخاهم يوسف :

﴿قال إني ليحزنني أن تذهبوا به، وأخاف أن يأكله الذئب، وأنتم عنه غافلون﴾[٢] .

ولما سأل الأولاد أباهم بعد سنين ، أن يرسل معهم أخاهم بنيامين :

﴿ قال لن أرسله معكم حتى تؤتون مَوْثقاً من الله لتأتُنّني به ... ﴾[٣] .

ثم أشفق عليهم أبوهم أن يراهم الناس إخوةً شباباً أشداء فتصيبهم عين حاسد ، فقال :

﴿ يا بَنيّ لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من

---

(١) ٥ ـ يوسف .

(٢) ١٣ ـ يوسف .

(٣) ٦٦ يوسف .

أبواب متفرقة ... ﴾[1] .

ولما ترك إبراهيم عليه السلام ولده إسماعيل وأمه في الحجاز ، حيث لا مال ولا ماء ولا غذاء ولا أنيس ، دعا ربه فقال :

﴿ ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾[2] .

ولما أشفقت أم موسى عليه السلام على ولدها أن يقتله فرعون ، ألهمها الله تعالى أن تجعله في صندوق ، وتلقيه في النيل .

فاستسلمت لهذا الإلهام الإلهي العجيب ، وفعلت .

قال الله تعالى في ذلك : **﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا**

---

(١) ٦٧ - يوسف .

(٢) ٣٧ - إبراهيم .

تحزني ، إنا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾[1] .

وامتن الله تعالى على موسى عليه السلام بعد ذلك ، فقال :

﴿ ولقد مننّا عليك مرة أخرى ، إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى ، أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم ، فليُلقه اليم بالساحل ، يأخذه عدو لي وعدو له ، وألقيتُ عليك محبة مني ، ولتُصنع على عيني ، إذ تمشي أختك ، فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن ... ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿وليخشَ الذين لو تركوا من خلفهم ذريةً ضعافاً خافوا عليهم، فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً﴾[3] .

وهذا وعظ للأوصياء : أي افعلوا باليتامى ما تحبون أن يفعل بأولادكم من بعدكم .

---

(١) ٧ ـ القصص .　　(٢) ٣٧ ـ ٤٠ طه .

(٣) ٩ ـ النساء .

أو المراد به جميع الناس : أمرهم باتقاء الله في الأيتام وأولاد الناس ، وإن لم يكونوا في حجورهم ، وأن يسددوا لهم القول ، كما يريد كل واحد منهم ، أن يُفعل بولده بعده .

ومن هذا القبيل ما حكاه الشيباني قال :

كنا على قُسطنطينية في عسكر مسلمة بن عبد الملك ، فجلسنا يوماً في جماعة من أهل العلم ، فيهم ابن الدَّيْلَميّ ، فتذاكروا ما يكون من أهوال آخر الزمان .

فقلت له : يا أبا بشر ! وُدّي أن لا يكون لي ولد .

فقال لي : ما عليك ! مامن نَسَمَة قضى الله بخروجها من رجل إلا خرجتْ ، أحبَّ أو كرِه ، ولكن إذا أردت أن تأمَن عليهم ، فاتقِ الله في غيرهم ، ثم تلا هذه الآية :

﴿ وليخش الذين لوتركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم ، فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً ﴾ .

وفي رواية قال له : ألا أدلك على أمر ، إن أنت أدركته نجاك الله منه ، وإن تركت ولداً من بعدك ، حفظهم الله فيك ؟

فقلت : بلى .

فتلا هذه الآية : ﴿ **وليخشَ الذين لو تركوا من خلفهم ذريةً ضعافاً ...** ﴾ .

فالإسلام الحنيف وجّه الناس إلى فضيلة الرحمة : رحمة الآباء والأمهات بالبنين والبنات خاصة ، ورحمة الصغار والضعفاء عامة .

عن عائشة رضي الله عنها قالت :

جائتني مسكينة تحمل ابنتين لها ، فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهما تمرة ، ورفعَتْ إلى فيها تمرة لتأكلها ، فاستطعمتها ابنتاها ، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما ، فأعجبني شأنها ، فذكرت الذي صنعتْ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

« إن الله قد أوجب لها بها الجنة ، أو أعتقها بها من النار » [١] .

وقد تبرأ النبي ﷺ من لا يرحم الصغير ، ويوقّر الكبير ،

---

(١) مسلم .

فقال :

« ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويوقر كبيرنا » [١] .

وقدم رسول الله ﷺ بسَبيْ ـ أي غنيمة ـ فإذا امرأة من السبي تسعى ، إذ وجدت صبياً في السبي ، أخذته فألزقته ببطنها ، فأرضعته .

فقال رسول الله ﷺ : « أترون هذه المرأة طارحةً ولدها في النار ؟ »

قالوا : لا والله .

فقال : « لله أرحم بعباده من هذه بولدها »[٢].

وقال تعالى:﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها، وتشتكي إلى الله ، والله يسمع تحاوركما، إن الله سميع بصير﴾[٣].

نزلت هذه الآية الكريمة في خولة بنت ثعلبة وزوجها ، وقد سخط عليها زوجها مرة فقال لها : (أنت عليَّ كظهر

---

(١) رواه أبو داود والترمذي . (٢) البخاري ومسلم .

(٣) ١ ـ المجادلة .

أمي) ، ثم ندم على ما قال .

وكان الظهار طلاقاً في الجاهلية ، فقال لها زوجها :

ماأظنك إلا قد حرمتِ علي !

فقالت : والله ماذاك طلاق .

فأتت رسول الله ﷺ وعائشة رضي الله عنها تغسل شق رأسه .

فقالت : يا رسول الله ، إن زوجي فلاناً ، تزوجني وأنا شابة غنية ، ذات أهل ومال ، حتى إذا أكل مالي ، وأفنى شبابي وتفرّق أهلي ، وكبر سني ، ظاهر مني ، وقد ندم ، فهل من شيء تجمعني وإياه ، وتنعشني به ؟

فقال رسول الله ﷺ : « حرمتِ عليه »

فقالت : يا رسول الله ، والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر الطلاق ، وإنه أبو ولدي ، وأحب الناس إليّ .

فقال رسول الله ﷺ : « حرمت عليه »

فقالت : أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي ، قد طالت له صحبتي ، ونثرت له بطني .

فقال رسول الله ﷺ : « ما أراك إلا قد حرمتِ عليه ،ولم أومر في شأنك بشيء »

فجعلت تراجع رسول الله ﷺ ، وكلما قال لها : « حرمتِ عليه » هتفت وقالت : أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي وشدة حالي ، وإن لي صبية صغاراً ، إن ضممتهم إلي جاعوا ، وإن ضممتهم إليه ضاعوا .

وجعلت ترفع رأسها إلي السماء وتقول :

(اللهم أشكو إليك، اللهم أنزل على لسان نبيك فرجي) .

وهذا كان أول ظهار في الإسلام .

فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر .

فقالت المرأة : انظر في أمري جعلني الله فداءك يا نبي الله .

فقالت عائشة : اقصري حديثك ومجادلتك ، أما ترين وجه رسول الله إذا نزل عليه الوحي أخذه مثل السبات ـ أي النوم ـ فلما قضي الوحي ، قال : ادعي لي زوجك .

فتلا عليه رسول الله ﷺ الآيات في كفارة الظهار ، في أوائل سورة المجادلة .

وقال يزيد بن معاوية رضي الله عنه : أرسل أبي إلى الأحنف بن قيس ، فلما جاءه قال له : يا أبا بحر ، ما تقول في الولد ؟

قال : يا أمير المؤمنين ، ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، ونحن لهم أرض ذليلة ، وسماء ظليلة ، وبهم نصول على كل جليلة ، فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، يمنحوك ودهم ، ويحبوك جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقلاً ثقيلاً ، فيملوا حياتك ، ويودّوا وفاتك ، ويكرهوا قربك .

فقال له معاوية رضي الله عنه : لله أنت يا أحنف ! لقد دخلت علي ، وأنا مملوء غضباً وغيظاً على يزيد ، فما خرجت حتى سللت ذلك من قلبي .

وقال الشاعر معرباً عن مكانة الأولاد من القلوب ، ورحمة الآباء بهم :

وإنمـــا أولادنـــا بيننـــا
أكبـــادنـــا تمشي على الأرض
إذا هبت الريـــح على بعضهم
امتنعت عيني من الغمض

الدعاء للأولاد :

ومن رحمة الآباء بالأبناء الدعاء لهم بخير .

قال إبراهيم عليه السلام :

﴿ رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ﴾ [١]

ودعا إبراهيم عليه السلام لنفسه ولولده إسماعيل ولذريته فقال :

﴿ ربنا واجعلنا مسلمَين لك ومن ذريتنا أمةً مسلمةً لك ... ﴾ [٢].

(١) ٤٠ ـ إبراهيم . (٢) ١٢٨ ـ البقرة .

وقال تعالى :

﴿ هنا لك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء ﴾[١] .

فلما وهب له يحي عليه السلام ، قال :

﴿ واجعله رب رضياً ﴾[٢] .

النهي عن الدعاء على الاولاد :

في الحديث الشريف : «لاتدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا علىخدمكم ، ولا تدعوا على أموالكم، لاتوافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء، فيستجيب لكم»[٣] .

« ثلاث دعوات لاشك في إجابتهن :

دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده»[٤] .

☆ ☆ ☆

---

(١) ٣٨ ـ آل عمران . (٢) ٦ ـ مريم .

(٣) مسلم وأبو داود . (٤) الترمذي .

عناية النبي ﷺ بالأطفال ورحمته إياهم :

قال الله تعالى مخاطباً نبيه محمداً ﷺ :

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ [(١)] .

وقال عز وجل : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتُّم ﴾ أي تصعب عليه مشقتكم ﴿ حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾[(٢)] .

وفي الحديث الشريف : « إنما أنا رحمة مهداة » [(٣)] .

فالرسول ﷺ مَثَل أعلى في الرحمة، وفي كل خلق كريم، ورحمته ﷺ شاملة، حظي بها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والقريب والبعيد، والصغير والكبير، والإنسان والحيوان...

ومن عنايته ﷺ بالأطفال ، ورحمته إياهم : ما جاء في سيرته الكريمة ، وأحاديثه الشريفة :

---

(١) ١٠٧ ـ الأنبياء . (٢) ١٢٨ ـ التوبة .

(٣) الحاكم .

عن عبد الله بن بُرَيدة عن أبيه رضي الله عنهما أنه قال :

رأيت النبي ﷺ يخطب ، فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما ، وعليهما قميصان أحمران ، يمشيان ويعثران .

فنزل النبي ﷺ ، فحملها ، ووضعها بين يديه ، ثم قال : « صدق الله عز وجل : ﴿ **إنما أموالكم وأولادكم فتنة** ﴾[1] .

نظرت إلى هذين الصبيين ، يمشيان ويعثران ، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ، ورفعتهما »[2] .

وبينما كان رسول الله ﷺ يصلي بالناس ، إذ جاءه الحسين ، فركب عنقه وهو ساجد ، فأطال السجود بالناس ، حتى ظنوا أنه قد حدث أمر .

فلما قضى صلاته قالوا: قد أطلت السجود يا رسول الله، حتى ظننا أنه قد حدث أمر !

فقال : « إن ابني قد ارتحلني ـ أي جعلني كالراحلة فركب

---

(١) ١٥ ـ التغابن .   (٢) الترمذي وغيره .

على ظهري ـ فكرهت أن أُعجله حتى يقضي حاجته »[١] .

وكان ﷺ يداعب الحسن والحسين رضي الله عنهما ، فيمشي على يديه وركبتيه ، ويتعلقان به من الجانبين ، فيمشي بهما ويقول :

« نِعمَ الجمل جملكما ، ونعم العِدلان أنتما » .

وعن أبي قتادة رضي الله عنه أنه قال :

بينا نحن على باب رسول الله ﷺ ، إذ خرج يحمل أمامةَ بنت أبي العاص بن الربيع ، وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ ، وهي صبية ـ أي صغيرة ـ فإذا سجد وضعها ، وإذا قام حملها ، حتى قضى صلاته ، يفعل ذلك بها ، وهو يؤم الناس في المسجد .

وأُهدي لرسول الله ﷺ هدية فيها قلادة من جَزْع ـ أي خرز يماني ـ فقال : لأدفعنها إلى أحب أهلي إليّ .

فقالت النساء : ذهبتْ بها ابنة أبي قحافة ـ أي عائشة رضي الله عنها ـ .

---

(١) النسائي والحاكم .

فدعا رسول الله ﷺ أمامة بنت زينب ، فأعلقها في عنقها ، وكان على عينها غَمص ، فمسحه بيده [١].

وعن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ، كان يؤتى بالصبيان، فيبرك عليهم-أي يدعو لهم بالبركة-ويحنكهم ومنهم من بال في حجره .

فإذا استحيا آباؤهم من ذلك ، وهموا أن يأخذوا الطفل من حجره قال لهم : لاتُزرِموا الصبي بوله [٢] .

أي لا تقطعوا عليه بوله .

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :

إني لأدخل في الصلاة ، وأنا أريد إطالتها ، فأسمع بكاء الصبي ، فأتجوز في صلاتي ـ أي أختصر القراءة فيها ـ مما أعلم من وَجْد أمه من بكائه [٣] .

وعن أنس رضي الله عنه أيضاً قال :

---

(١) من الإصابه لابن حجر العسقلاني ج ٤ /٢٣٠ .

(٢) مسلم وغيره . (٣) البخاري ومسلم وغيرهما .

كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً . وكان لي أخ يقال له: أبو عُمَير ، وكان له نُغَر - أي طائر صغير كالعصفور - يلعب به ، فمات ودخل على النبي ﷺ ذات يوم فرآه حزيناً .

فقال : « ما شأنه ؟ »

قالوا : نغره .

فقال : « يا أبا عمير ، ما فعل النُغَير ؟ »(١)

وعن أنس رضي الله عنه أيضاً ، أنه مر على صبيان فسلم عليهم ، وقال :
كان رسول الله ﷺ يفعله (٢) .

ولما قدم رسول الله ﷺ مكة ، استقبله غلمان من بني عبد المطلب ، فحمل واحداً بين يديه وآخر خلفه .

- وكان ﷺ يُسَرِّب - أي يرسل - إلى عائشة رضي الله

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) البخاري ومسلم .

عنها بنات الأنصار يلعبن معها [١].

يراعي في ذلك طفولتها وصغر سنها .

وكان الناس إذا رأوا أول الثمر ، جاءوا به إلى رسول الله ﷺ ، فإذا أخذه قال :

« اللهم بارك لنا في ثمرنا ، وبارك لنا في مدينتنا ، وبارك لنا في صاعنا ، وبارك لنا في مُدّنا » .

ثم يدعو أصغر وليد له ، فيعطيه ذلك الثمر [٢] .

☆ ☆ ☆

---

(١) البخاري ومسلم .

(٢) مسلم .

خصوصية البنات :

في الحديث الشريف :

« ـ من عَالَ جاريتين ـ أي كفل ابنتين، وأنفق عليهما، وأحسن رعايتهما ـ حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو» ـ وضم أصابعه [١] ـ

وفي رواية : « من عَالَ جاريتين دخلت أنا وهو الجنة كهاتين » ـ وأشار بأصبعيه السبابة والتي تليها ـ

وفي رواية : « من عَال ابنتين أو ثلاثاً أو أختين أو ثلاثاً حتى يَبِنَّ ـ من البين وهو البعد بسبب زواج ـ أو يموت عنهن ، كنت أنا وهو في الجنة كهاتين » ـ وأشار بأصبعيه السبابة والتي تليها ـ .

« ما من مسلم يكون له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه ـ أو صحبهما ـ إلاأدخلتاه الجنة » [٢] .

---

(١) مسلم والترمذي وابن حبان .

(٢) ابن ماجه وغيره .

« مـا من مسلم يكون له ثلاث بنات ، فينفق عليهن حتى يَبِنَّ أو يمتن إلا كنّ له حجاباً من النار . »

فقالت له امرأة : أو بنتان ؟

قال : « أو بنتان »[١] .

«من كان له ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، أو بنتان أو أختان، فأحسن صحبتهن، واتقى الله فيهن، فله الجنة» [٢] .

وفي رواية : « فأدّبهن ، وأحسن إليهن ، وزوّجهن فله الجنة »

« من كانت له أنثى ، فلم يئدها[٣] ، ولم يُهنها ، ولم يؤثر ولده ـ يعني الذكور عليها ، أدخله الله الجنة »[٤]

« من كنّ له ثلاث بنات يؤدبهن ، ويرحمهن ، ويكفُلهن ويزوّجهن ، وجبت له الجنة البتة » ـ أي قطعاً ـ

---

(١) الطبراني .

(٢) الترمذي وأبو داود .

(٣) أي لم يدفنها حية ، وكانوا يدفنون البنات أحياء .

(٤) أبو داود والحاكم .

قيل : يارسول الله ، فإن كانتا اثنتين ؟

قال : « وإن كانتا اثنتين » .

قال:فرأى بعض القوم أن لو قال: واحدة، لقال واحدة[١] .

« من كن له ثلاث بنات، فصبر على لأوائهن-أي شدتهن-وضرائهن وسرائهن، أدخله الله الجنة برحمته إياهن» .

فقال رجل : واثنتان يارسول الله ؟

قال : « واثنتان »

قال رجل : يا رسول الله وواحدة ؟

قال : « وواحدة » [٢] .

من ابتلي من هذه البنات بشيء-أي اختُبر فيهن-فأحسن إليهن ، كنّ له ستراً من النار . [٣]

النفقة على العيال :

قال الله تعالى : ﴿ **لينفق ذو سعة من سعته ومن**

---

(١) أحمد وغيره . (٢) الحاكم .

(٣) البخاري ومسلم .

قدر عليه رزقه ﴾ أي ضيق عليه ﴿ **فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها** ﴾ [(١)] .

﴿ **وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ...** ﴾ [(٢)]

وفي الحديث الشريف :

« دينار أنفقته في سبيل الله ـ أي في الجهاد أو في طاعة الله ـ

ودينار أنفقته في رقبة ـ أي في عتق رقبة وتخليصها من الرق ـ

ودينار تصدقت به على مسكين .

ودينار أنفقته على أهلك .

أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك » [(٣)] .

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت :

---

(١) ٧ ـ الطلاق .
(٢) ٣٩ ـ سبأ .
(٣) مسلم .

قلت : يا رسول الله ، هل لي في بني أبي سلمة أجر إن أنفق عليهم ، ولست بتاركتهم هكذا وهكذا ـ أي يتفرقون في طلب القوت هكذا وهكذا ـ إنما هم بني .

فقال : « نعم ، لك أجر ماأنفقت » [١]

« اليد العليا ـ وهي المعطية ـ خير من اليد السفلى ـ وهي الآخذة ـ وابدأ بمن تعول ... » [٢] .

« ما أطعمت نفسك ، فهو لك صدقة . وما أطعمت ولدك ، فهو لك صدقة . وما أطعمت زوجتك ، فهو لك صدقة ، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة » [٣] .

ومر على النبي ﷺ رجل ، فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه ، فقالوا :

يا رسول الله ، لو كان هذا في سبيل الله !

فقال رسول الله ﷺ : « إن كان خرج يسعى على ولده

---

(١) البخاري ومسلم .

(٢) البخاري .

(٣) أحمد .

صغاراً فهو في سبيل الله .

وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين ، فهو في سبيل الله .

وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله .

وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرة ، فهو في سبيل الشيطان » [١] .

تضييع الرجل من يعول :

في الحديث الشريف :

« كفى بالمرء إثماً أن يُضَيع من يقوت » [٢] .

« إن الله سائل كل راع عما استرعاه ، حفظ أم ضيع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته » [٣] .

---

(١) الطبراني .

(٢) أبو داود وغيره .

(٣) ابن حبان .

النهي عن قتل الأولاد :

قال الله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ﴾ أي فقر ﴿ نحن نرزقكم وإياهم ﴾[١]

أي لا تئدوا بناتكم خشية العَيْلة - يعني الفقر - فإني رازقكم وإياهم .

وقد كانوا في الجاهلية يفعلون ذلك خشية الفقر .

وقال تعالى ﴿ قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم ... ﴾ [٢] .

كان من العرب من يقتل أولاده خشية الإملاق - وهو الفقر - .

وكان منهم من يقتلهم سفهاً بغير حجة منهم في قتلهم ، وهم ربيعة ومضر ، كانوا يقتلون بناتهم لأجل الحمية .

---

(١) ١٥١ - الأنعام .　　(٢) ١٤٠ - الأنعام .

ومنهم من يقول : الملائكة بنات الله ، فألحقوا الملائكة بالبنات.

قال القرطبي رحمه الله تعالى: روي أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ، كان لايزال مغتماً بين يدي رسول الله ﷺ

فقال له رسول الله ﷺ : « مالك تكون محزوناً ؟! »

فقال : يا رسول الله ، إني أذنبت ذنباً في الجاهلية ، فأخاف أن لايغفره الله لي وإن أسلمت .

فقال له : « أخبرني عن ذنبك »

فقال يا رسول الله : إني كنت من الذين يقتلون بناتهم ، فولدت لي بنت ، فتشفعت بها أمها فتركتها حتى كبرت وأدركت وصارت من أجمل النساء ، فخطبوها ، فدخلتني الحمية ، ولم يحتمل قلبي أن أزوجها ، أو أتركها في البيت بغير زوج .

فقلت للمرأة : إني أريد أن أذهب إلى قبيلة كذا وكذا في زيارة أقربائي ، فابعثيها معي .

فسُرَّت بذلك ، وزيَّنتها بالثياب والحلي ، وأخذت علي المواثيق بأن لا أخونها .

فذهبت بها إلى رأس بئر ، ففطنت الجارية أني أريد أن ألقيها في البئر ، فالتزمتني وجعلت تبكي ، وتقول : ياأبت ! أيَّ شيء تريد أن تفعل بي !

فرحمتُها ، ثم نظرت في البئر ، فدخلت علي الحمية ، ثم التزمتني وجعلت تقول :

يا أبت لاتضيع أمانة أمي .

فجعلت مرة أنظر في البئر ، ومرة أنظر إليها فأرحمها . حتى غلبني الشيطان . فأخذتها وألقيتها في البئر منكوسة ، وهي تنادي في البئر : يا أبت قتلتني .

فمكثتُ هناك حتى انقطع صوتها ، فرجعت .

فبكى رسول الله ﷺ وقال :

« لو أمرت أن أعاقب أحداً بما فعل في الجاهلية لعاقبتك »

وقال تعالى :﴿ ياأيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه[١] بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم ﴾[٢] .

وقال تعالى منددأً على الجاهليين قتل بناتهم :

﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ﴾ ـ أي ممتلئ غماً ﴿ يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون ﴾ أي هوان ﴿ أم يدسّه في التراب ؟ ألا ساء ما يحكمون ﴾ [٣] .

قال المفسرون : كانت مضر وخزاعة يدفنون البنات أحياء ، وأشدهم في هذا تميم ، زعموا خوف الفقر عليهن ، وطمع غير الأكفاء فيهن .

---

(١) بإلصاق اللقطاء بالأزواج افتراء .

(٢) ١٢ ـ الممتحنة .

(٣) ٥٨ ـ و ٥٩ ـ النحل .

وكان صعصعة بن ناجية ، جد الفرزدق الشاعر ، إذا أحس بشيء من ذلك ، وجه إلى والد البنت إبلاً يستحييها بذلك ، كان يشتريهن من آبائهن ، فجاء الإسلام وقد أحيا سبعين موءودة .

فقال الفرزدق يفتخر :

وجَـدّي الـذي منـع الـوائـداتِ
وأحيـا الـوئيـد فلم يـوأدِ

وقال عبد الله بن طاهر

لكل أبي بنت يراعي شئـونهـا
ثـلاثـة أصهـار إذا حُمِـدَ الصهر
فبعـل يراعيهـا وخـدر يكنهـا
وقبر يـواريهـا وخيرهم القبر

وقال تعالى يهدد الوائدين بالسؤال عما فعلوا :

﴿ وإذا الموءودة سئلت : بأي ذنب قتلت ؟ ﴾[1]

---

(١) ٨ و ٩ ـ التكوير .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت حفرت حفرة وتمخضت على رأسها ، فإن ولدت جارية ، رمت بها في الحفرة ، وردت التراب عليها ، وإن ولدت غلاماً حبسته ، ومنه قول الراجز :

سميتهـــا إذ ولــــدت تمــوت

والقبر صهرضـــــامن زميت

والزميت : الوقور .

ولما نزلت هذه الآية ، جاء قيس بن عاصم إلى النبي ﷺ فقال :

يا رسول الله ، إني وأدت ثمان بنات كن لي في الجاهلية .

قال : « فأعتق عن كل واحدة منهن رقبة »

قال : يا رسول الله ، إني صاحب إبل .

قال : « فأهدِ عن كل واحدة منهن بدنة ـ أي ناقة ـ إن شئت »

قال المفسرون : ﴿ **وإذا الموءودة سئلت** ﴾

سؤال المؤودة سؤال توبيخ لقاتلها ، لأنها قتلت بغير ذنب .

وقال بعضهم : سئلت : أي طلبت ، كأنه يريد كما يُطلب بدم القتيل . فكأنها طلبت منهم ، فقيل : أين أولادكم ؟

وهذا السؤال سؤال توبيخ وتبكيت لوائدها ، وهو أبلغ من سؤالها عن قتلها ، لأن القتل لايصح إلا بذنب ، فبأي ذنب كان ذلك ، فإذا ظهر أنه لاذنب لها ، كان أعظم في البلية وظهور الحجة على قاتلها .

بر الأبناء بالآباء :

لما كان الآباء والأمهات أعظم المحسنين إحساناً إلى الأولاد بعد الله تعالى كان حقهم على الأبناء أعظم الحقوق بعد حق الله عز وجل .

لهذا قرن الله تعالى الإحسان إلى الوالدين، بالأمر بعبادته وحده فقال:

﴿ وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين

إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً ﴾

﴿ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمها كما ربياني صغيراً﴾ [١] .

﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ﴾ [٢] .

وقرن الله تعالى الأمر بشكر الوالدين أمره بشكره سبحانه ، فقال عز وجل :

﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن ﴾ أي ضعفاً على ضعف وشدة على شدة ﴿ وفصاله ﴾ أي فطامه ﴿ في عامين أن أشكر لي ولوالديك، إليّ المصير ﴾ [٣] .

---

(١) ٢٤ ـ ٢٥ ـ الإسراء .

(٢) ٣٦ ـ النساء .

(٣) ١٤ ـ لقمان .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال :

سألت النبي ﷺ : أي العمل أحب إلى الله تعالى ؟

قال : « الصلاة على وقتها » ـ أي في وقتها المحدد لها شرعاً ـ

قلت : ثم أي ؟

قال : « بر الوالدين »

قلت : ثم أي ؟

قال : « الجهاد في سبيل الله » [١] .

وفي الحديث الشريف : « رغم أنف ، رغم أنف ، رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر : أحدهما ، أوكلاهما ، فلم يدخل الجنة » [٢] .

وأقبل رجل إلى نبي الله ﷺ فقال :

---

(١) البخاري ومسلم .

(٢) مسلم .

أبايعك على الهجرة والجهاد، أبتغي الأجر من الله تعالى .

فقال : « هل لك من والديك أحد حي ؟ »

قال : بل كلاهما .

قال : « فتبتغي الأجر من الله تعالى ؟ »

قال : نعم .

قال : « فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما » [١] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال :

كان تحتي امرأة ، وكنت أحبها ، وكان عمر يكرهها ، فقال لي : طلقها .

فأبيت ، فأتى عمر النبي ﷺ ، فذكر ذلك له ، فقال النبي ﷺ ، طلقها . [٢]

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رجلاً أتاه فقال :

---

(١) البخاري ومسلم .

(٢) رواه أبو داود والترمذي .

إن لي امرأة ، وإن أمي تأمرني بطلاقها .

فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه» .

وضد البر العقوق ، وهو من الكبائر .

ففي الحديث الشريف :

« الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس واليمين الغموس»[٢] .

واليمين الغموس: التي يحلفها كاذباً متعمداً، سميت«غموساً» لأنها تغمس الحالف في الإثم .

ماهو البر ؟

بـر الوالدين : هـو الإحسان إليهمـا ، والقيـام بحقـوقهما ،

---

(١) رواه الترمذي وغيره .

(٢) البخاري .

وتكريمها، والتزام طاعتهما في غير معصية لله تعالى ، واجتناب كل ما فيه إساءة لهما ، وفعل ما يرضيهما ...

فمن قام بهذا استحق رضا الله تعالى ، ومعونته ، وتوفيقه .

ما هو العقوق ؟

وعقوق الوالدين: هو إهمال حقوقهما، والخروج عن طاعتهما، وفعل مالا يرضيهما، وإيذاؤهما ولو بكلمة مرة، أو نظرة شَزرة ...

فمن فعل شيئاً من هذا استحق سخط الله تعالى ، وحرم معونته ، وارتكب إثماً من أكبر الكبائر .

من صور العقوق :

من صور العقوق بخل الولد على الوالدين إذا احتاجا إلى ماله .

جاء رجل إلى النبي ﷺ ، فقال :

يا رسول الله ، إن لي مالاً وولداً ، وإن أبي يريد أن

يحتاج مالي ، فدعا أباه ، فهبط جبريل عليه السلام فقال :

« إن الشيخ قد قال في نفسه شيئاً لم تسمعه أذناه »

فلما قدم ، فإذا هو شيخ يتوكأ على عصا .

فسأله النبي ﷺ عما ادعى ولده .

فقال : سله يا رسول الله ، هل أنفقه إلا على إحدى عماته أو إحدى خالاته ؟

فقال رسول الله ﷺ : « دعنا من هذا ، وأخبرني عن شيء ، قلته في نفسك ، ولم تسمعه أذناك ! »

قال الرجل : لايزال الله يزيدنا بك بصيرة ويقيناً ، نعم .

قال : « هات » .

فأنشأ يقول في خطاب ولده :

غذوتك مولوداً وعلتك يافعاً
تُعَلّ بما أحنو عليك وتنهل[1]

(١) تسقى اللبن مرة بعد مرة .

إذا ليلــة نــابتــك بــالسقم لم أبت
لسقمــــك إلا ســــاهراً أتململ

تخــاف الردى نفسي عليــك وإنهــا
لتعلم أن المـــوت حتم مــؤجــل

كأني أنــا المطروق دونــك بــالــذي
طُرِقْتَ بــــه دوني فعيني تهمِــل

فلمــا بلغتَ السن والغــايـــة التي
إليهــا مــدى مــاكنت فيــك أؤمل

جعلتَ جــزائي غلظــة وفظــاظــة
كأنــــك أنت المنعم المتفضــل

فليتـــــك إذ لم ترع حـــق أبـــوتي
فعلت كما الجـــار المجـــاور يفعــل

فبكى رسول الله ﷺ وقال:

« ماسمع بهذا حجر ولا مدر إلا بكى »

وأخذ بتلابيب الولد ـ أي بمجامع ثيابه ـ وقال :

« انت ومالك لأبيك [١] »

من أنواع البر :

ومن أنواع البر الدعاء للوالدين، وصلة الرحم التي لاتوصل إلا بهما .

قال الله تعالى في نوح عليه السلام أنه قال :

﴿ رب اغفر لي ولـوالـــدي ولمن دخـل بيتي مؤمناً ... ﴾[٢] .

وقال في إبراهيم عليه السلام أنه قال :

﴿ ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ﴾[٣] .

على أنه لاينبغي الدعاء لأبوين كافرين .

---

(١) رواه ابن ماجه والطبراني والبزار .

(٢) ٢٨ ـ نوح .

(٣) ٤١ ـ إبراهيم .

قال الله تعالى : ﴿ ما كان للنبي والـذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب السعير ﴾

﴿ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، إن إبراهيم لأواه ﴾ أي كثير الدعاء ﴿ حليم ﴾ [١] .

فكان دعاء إبراهيم عليه السلام لأبيه قبل أن يتبين له إصراره على الكفر .

وفي الحديث الشريف : أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال :

يا رسول الله ، هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما ؟

فقال :« نعم، الصلاة عليهما ـ أي: الدعاء لهما ـ والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لاتوصل إلا

---

(١) ١١٣ و ١١٤ ـ التوبة .

بها، وإكرام صديقهما» [١]

« إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث :

صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » [٢] .

« إن من أبر البر صلة الرجل أهل ودّ أبيه » [٣]

مثل أعلى في طاعة الأبناء للآباء :

قال الله تعالى في إبراهيم ثم في ولده إسماعيل عليهما السلام :

﴿ فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى﴾

﴿ قال يا أبت افعل ماتؤمر ستجدني إن شاء الله

---

(١) أبو داود .

(٢) مسلم وغيره .

(٣) مسلم .

من الصابرين ﴾ [1]

فلما أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام بذبح ولده ، أحب أن يعرف من ابنه الطاعة والامتثال ، فأخبره الخبر ، وسأله عن رأيه في الأمر ، فكانت الطاعة التامة والاستجابة السريعة الرائعة لأمر الله تعالى .

فليعتبر بهذا الأبناء الذين يأمرهم آباؤهم بما أمر الله تعالى ورسوله ﷺ فلا يأتمرون، وينهونهم عما نهى الله تعالى ورسوله ﷺ، فلا ينتهون!

مثل أعلى في البر :

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم، حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار .

---

(١) ١٠١ و ١٠٢ ـ الصافات .

فقالوا : إنه لاينجيكم من هذه الصخرة ، إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم :

قال رجل منهم : اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران ، وكنت لا أغبِقُ ـ أي لا أقدم في الشرب ـ قبلهما أهلاً ولا مالاً .

فنأى بي طلب الشجر يوماً ، فلم أُرح عليهما ـ أي لم أرجع إليهما ـ حتى ناما ، فحلبت لهما غبوقهما ، فوجدتهما نائمين ، فكرهت أن أوقظهما ، وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً ، فلبثت ـ والقدح على يدي ـ أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر ـ أي ظهر ضوءه ـ والصبية يتضاغون ـ أي يصيحون من الجوع ـ عند قدميَّ .

فاستيقظا فشربا غبوقهما .

اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، ففرّجْ عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئاً لايستطيعون الخروج منه [١] ...

---

(١) البخاري ومسلم .

التلطف في خطاب الآباء :

قال الله تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً ﴾

﴿ إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً ﴾

﴿ ياأبت إني قد جاءني من العلم مالم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً ... ﴾

﴿ ياأبت لاتعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيّا ﴾

﴿ ياأبت إني أخاف أن يمسّك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليّا ﴾

﴿ قال : أراغبٌ أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنّك واهجرني ملّيا ﴾

﴿ **قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيّا** ﴾ [١]

دعا إبراهيم عليه السلام أباه إلى الإيمان ، فأبى وجفا في القول ، فما زاد إبراهيم عليه السلام على أن تلطّف به ، ووعده بالاستغفار له .

وفي هذا أدب قرآني رفيع، ينبغي للأبناء أن يأخذوا به في دعوة الآباء إلى الخير، وفي أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر .

صلاح الآباء ينفع الأبناء :

قال الله تعالى في قصة موسى والخضر عليهما السلام :

﴿ **وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً ...** ﴾ [٢] .

وفي هذا دليل على أن الله تعالى يحفظ الرجل الصالح في نفسه وفي ولده ، وفي ولد ولده ، وإن بعدوا عنه .

---

(١) ٤٢ ـ ٤٧ ـ مريم .

(٢) ٨٢ ـ الكهف .

قال الله تعالى : ﴿ إن وليّي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ﴾ [١] .

بر الآباء بالأبناء :

في الحديث الشريف : « رحم الله والداً أعان ولده على بره » [٢] .

أى لم يحمله على العقوق بسبب عمله .

وفي الحديث الشريف:«ساووا بين أولادكم في العطية»[٣]

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال :

إني نحلت ابني هذا ـ أي أعطيته ـ غلاماً كان لي .

فقال رسول الله ﷺ : « أكلّ ولدك نحلته مثل هذا ؟ »

فقال : لا .

فقال : رسول الله ﷺ : « فارجِعْه »

---

(١) ١٩٦ ـ الأعراف .

(٢) ابن حبان .

(٣) الطبراني وغيره .

وفي رواية : فقال رسول الله ﷺ : « أفعلتَ هذا بولدك كلهم ؟ »

قال : لا .

قال : « اتقوا الله واعدلوا في أولادكم »

فرجع أبي فردّ تلك الصدقة .

وفي رواية : قال رسول الله ﷺ : « يا بشير ، ألك ولد سوى هذا ؟ »

فقال : نعم .

قال : « أكلَّهم وهبتَ له مثل هذا ؟ »

قال : لا .

قال : « فلا تشهدني إذن ، فإني لا أشهد على جور » ـ أي ظلم ـ

وفي رواية : « أشهد على هذا غيري »

ثم قال : « أيسرّك أن يكونوا إليك في البر سواءً ؟ »

قال : بلى .

قال : « فلا إذن » (١)

---

(١) البخاري ومسلم .

الحذر من الأولاد :

الأولاد وإن كانوا نعمة من الله تعالى على الآباء والأمهات، فإنه ينبغي الحذر من أن يشغلوا عن الله ، وعن طاعة الله ، أو يورّطوا في معاصي الله .

قال الله تعالى :﴿**قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكنُ ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لايهدي القوم الفاسقين**﴾ [١]

وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام قوله تعالى :

﴿ **فانطلقا ، حتى إذا لقيا غلاماً فقتله ...** ﴾[٢]

ولما أراد أن يفارقه ، بيّن له سبب قتله ، فقال :

﴿ **وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين ، فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً** ﴾ [٣]

---

(١) ٢٤ ـ التوبة .   (٢) ٧٤ ـ الكهف .

(٣) ٨٠ ـ الكهف .

وقــال تعــالى :﴿ يــاأيهــا الــذين آمنــوا ، إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم ... ﴾[1]

وعداوتهم إياهم بصرفهم عن طاعة الله ، وموافقتهم على معصية الله .

ولهذا سمى الله تعالى الأولاد فتنة فقال :

﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ... ﴾[2]

وقد سلم المسلمون الأولون من الفتنة بالأولاد ، فأحبوهم في الله ، وأبغضوهم في الله .

سأل أبو بكر رضي الله عنه رسول الله ﷺ يوم بدر أن يخرج لمبارزة ولده عبد الله وقد كان في صف المشركين .

فقال له رسول الله ﷺ : متّعنا بنفسك يا أبا بكر .

لا ينبغي للأبناء أن يضلوا بضلال الآباء :

قد يقدّر الله على بعض الأبناء أن يولدوا من آباء وأمهات كافرين أو عاصين ، فإذا بلغوا الحلم لايعذرون بضلال آبائهم ،

---

(١) ٤ ـ التغابن .

(٢) ١٥ ـ التغابن .

إذا سلكوا سبيلهم في الضلال ، ومشوا على غرارهم في المعصية أو الكفر .

قال الله تعالى منددا على أمثال هؤلاء :

﴿ وإذا فعلوا فاحشة قالوا : وجدنا عليها آباءنا... ﴾[1]

وقال تعالى : ﴿ أو تقولوا : إنما أشرك آباؤنا من قبل * وكنا ذرية من بعدهم ... ﴾[2]

﴿ وإذا قيل له : اتبعوا ما أنزل الله .

قالوا : بل نتبع ما ألفينا ﴾ أي وجدنا ﴿ عليه آباءنا ... ﴾[3]

﴿ وإذا قيل لهم : تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول .

قالوا : حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ... ﴾[4]

﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبلُ ، وكنا بهِ عالمين .

---

(١) ٢٨ ـ الأعراف . (٢) ١٧٣ ـ الأعراف .
(٣) ١٧٠ ـ البقرة . (٤) ١٠٤ ـ المائدة .

إذ قال لأبيه وقومه : ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟! ﴾

﴿ قالوا : وجدنا آباءنا لها عابدين ﴾

﴿ قال : لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين ﴾[١]

فالله تعالى منح الإنسان العقل ، وهداه إليه بما شرعه على لسان رسوله ﷺ ، فعليه أن يتبع الهدى والحق ، ولا يتأثر بكفر من كفر ، أو معصية من عصى ، أو ضلال من ضل ، سواء في ذلك القريب والبعيد .

قال الله تعالى : **﴿ كل امرىء بما كسب رهين ﴾** [٢]

احتساب الأجر بفقد الأبناء :

إن الله تعالى كما يهب ما يشاء لمن يشاء من مال وولد ... فكذلك يقبض إليه ما يشاء ، فهو سبحانه مالك الملك ، المتصرف في ملكه بما يشاء .

---

(١) ٥١ ـ ٥٤ ـ الأنبياء .　　(٢) ٢١ ـ الطور .

وهذا هو معنى قول الصابرين : الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا :

﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ (١)

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، أنه قال :

أرسلت بنت النبي ﷺ : إن ابني قد احتضر - أي حضره الموت - فاشهدنا .

فأرسل يقرىء السلام ويقول :

« إن لله ماأخذ ، ولله ماأعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى ، فلتصبر ولتحتسب » (٢) ..

وعن أنس رضي الله عنه قال :

كان ابن لأبي طلحة رضي الله عنه يشتكي-أي هو مريض-

فخرج أبو طلحة-أي في سفر-فقبض الصبي-أي مات-.

فلما رجع أبو طلحة قال : ما فعل ابني ؟

قالت أم سليم وهي أم الصبي : هو أسكن ماكان .

---

(١) ١٥٦ - البقرة .

(٢) البخاري ومسلم .

فقربتْ له العشاء ، فتعشى ، ثم أصاب منها .

فلما فرغ قالت : وارُوا الصبي ـ أي ادفنوه ـ .

فلما أصبح أبو طلحة ، أتى رسول الله ﷺ فأخبره .

فقال : « أعرّستم الليلة ؟ »

قال : نعم .

قال : « اللهم بارك لهما »

فوَلَدتْ غلاماً . فقال لي أبو طلحة : احملْه حتى تأتي به النبي ﷺ وبعث معه بتمرات .

فقال : « أمعه شيء ؟ »

قال : نعم ، تمرات .

فأخذها النبي ﷺ ، فمضغها ثم أخذها من فيه فجعلها في في الصبي ـ أي في فمه ـ ، ثم حنكه ، وسماه : عبد الله [١] .

وفي رواية : فقال رجل من الأنصار : فرأيت تسعة أولاد كلهم قد قرءوا القرآن ـ يعني من أولاد عبد الله المولود ـ .

وفي رواية أخرى : مات ابنٌ لأبي طلحة من أم سُليم ،

---

(١) البخاري ومسلم .

فقالت لأهلها :

لاتحدثوا أبا طلحة بابنه ، حتى أكون أنا أحدثه .

فجاء، فقربت إليه عشاء، فأكل وشرب. ثم تصنَّعتْ له ـ أي تزينت ـ أحسنَ ماكانت تَصَّنعُ قبل ذلك، فوقع بها .

فلما أن رأت أنه قد شبع وأصاب منها ، قالت :

ياأبا طلحة : أرايتَ ـ أي أخبرني ـ لو أن قوماً أعاروا عاريتَهم أهل بيت ، فطلبوا عاريتهم ، ألَهُم أن يمنعوهم ؟ !

قال : لا .

فقالت : فاحتسبِ ابنك ـ أي اطلب ثواب مصيبتك فيه من الله تعالى .

قال : فغضب ، ثم قال : تركتِني حتى إذا تلطَّخت ـ أي تقذّرت بالجماع ـ ثم أخبرتني بابني !

فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ ، فأخبره بما كان .

فقال رسول الله ﷺ : « بارك الله في ليلتكما ... »

ومرّ النبي ﷺ على امرأة تبكي عند قبر على صبي لها ، فقال :

« اتقي الله واصبري »

فقالت: إليك عني، فإنك لم تُصَب بمصيبتي. ولم تعرفه .

فقيل لها : إنه النبي ﷺ .

فأتت باب النبي ﷺ ، فلم تجد عنده بوّابين .

فقالت : لم أعرفك .

فقال : « إنما الصبر عند الصدمة الأولى » (١)

وفي الحديث الشريف : « مامن مسلم يموت له ثلاثة لم يبلغوا الحِنث ـ أي لم يبلغوا الحلم ، فتكتب عليهم الآثام ـ إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم » (٢)

« لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد ، فتمسُّه النار إلا تحلّة القسم » (٣)

وجاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ ، فقالت :

يا رسول الله ، ذهب الرجال بحديثك ، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه ، تعلمنا مما علمك الله .

---

(١) البخاري ومسلم . (٢) البخاري ومسلم .

(٣) أي لايدخل النار بل يمر عليها بقدر مايبر الله قسمه في قوله : ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ رواه البخاري ومسلم .

قال : « اجتمعْن يوم كذا وكذا »

فاجتمعن ، فأتاهن النبي ﷺ ، فعلمهن مما علمه الله .

ثم قال : « مامنكنّ من امرأة تقدَّم ثلاثة من الولد ، إلا كانوا لها حجاباً من النار »

فقالت امرأة : واثنين ؟

فقال رسول الله ﷺ « واثنين » [١]

وفي الحديث الشريف : « إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته :

قبضتم ولد عبدي ؟

فيقولون : نعم .

فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟

فيقولون : نعم .

فيقول : ماذا قال عبدي ؟

فيقولون : حمدك واسترجع .

أي قال : الحمد لله ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

---

(١) البخاري ومسلم .

فيقول الله تعالى : ابنوا بيتاً لعبدي في الجنة وسموه :بيت الحمد » [١]

انتفاع الآباء بموت الأولاد الصغار :

إذا مات الطفل قبل أبيه كان شفيعاً له يوم القيامة .

ففي الحديث الشريف:« يقال لأطفال المؤمنين: ادخلوا الجنة .

فيقولون : حتى يُدخل آباؤنا .

فيقال : ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم » [٢]

وجاءت أمرأة إلى النبي ﷺ ، فقالت :

دفنت ثلاثة من الولد .

فقال : « لقد احتظرتِ ـ أي امتنعتِ ـ بحظار شديد من النار » [٣]

---

(١) الترمذي وابن حبان .

(٢) النسائي .

(٣) مسلم .

الفرار من الأبناء في الأخرة :

قال الله تعالى في وصف مشهد من مشاهد يوم القيامة :

﴿ يودّ المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه * وصاحبته وأخيه * وفصيلته التي تؤويه * ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه * كلا ... ﴾[١] .

﴿يوم يفرّ المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه...﴾

فالأبناء على حبهم ، ومكانتهم من القلوب ، يفر المجرم منهم ، ويتمنى لو افتدى بهم من العذاب ، لشدة الهول يوم القيامة .

وقال الله تعالى في وصف يوم القيامة :

﴿ يومَ لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾[٢]

(١) ١١ ـ ١٥ المعارج .
(٢) ٨٨ ـ ٨٩ الشعراء .

﴿إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً...﴾[1]

أي لن تدفع عنهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله من شيء .

وخصَّ الأولاد بالذكر ، لأنهم أقرب أنسابهم إليهم .

وقال المنافقون: إن محمداً يزعم أنه يُنصَرن يوم القيامة ، لقد شقينا إذن ، فو الله لنُنصَرّن يوم القيامة بأنفسنا وأولادنا وأموالنا، إن كانت قيامة، فأنزل الله تعالى رداً عليهم :

﴿ لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً ﴾[2]

وقال تعالى في المنافقين أيضاً : **﴿ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ﴾** [3]

---

(١) ١٠ ـ آل عمران .

(٢) ١٧ ـ المجادلة .

(٣) ٥٥ ـ التوبة .

فما يعطيهم الله تعالى من الأموال والأولاد، وسائر النعم، إنما هو استدراج، والاستدراج بالنعم يؤدي إلى الغفلة والاستمرار على الكفر والمعصية، إلى أن يأخذهم الله بغتة، فيندمون ولات ساعة مندم .

وقال تعالى:﴿**ياأيها الناس اتقوا ربكم، واخشوا يوماً لايجزي والد عن ولده، ولا مولود هو جازٍ عن والده شيئاً...**﴾[١]

أي لاتؤاخذ نفس بذنب أخرى، ولا تدفع عنها من عذاب الله شيئاً .

وقال تعالى:﴿**وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرِّبكم عندنا زلفى...**﴾ [٢]

أي لاتزيدكم الأموال والأولاد عندنا رفعة ودرجة، ولا تقربكم تقريباً .

---

(١) ٣٢ و٣٣ لقمان . (٢) ٣٧ ـ سبأ .

وقال عز وجل :﴿ **لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة** ﴾ [(١)]

أي فلا توالهم على معصية ، ولا تُقرّوهم على كفر ، ولا ينجيكم في حال معصيتهم وكفرهم إلا التبرؤ منهم .

إلحاق الذرية الصالحة بالآباء الصالحين:

قال الله تعالى في مثوبة عباده المؤمنين يوم القيامة :

﴿ **أولئك لهم عقبى الدار * جناتُ عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ...** ﴾ [(٢)]

أي يدخلون الجنة مع من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، وإن لم يعمل أحدهم مثل أعمالهم ، يلحقه الله تعالى بهم كرامة لهم ، فالنعمة تتم عليهم في الآخرة ، بأن جعلهم مجتمعين مع قراباتهم في الجنة ، وإن دخلها كل إنسان منهم بعمل نفسه ، بل برحمة الله تعالى .

وقال تعالى على لسان الملائكة الذين يدعون للمؤمنين :

---

(١) ٣ ـ الممتحنة .

(٢) ٢٢ ـ ٢٣ الرعد .

﴿ ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ... ﴾ [(١)]

قال سعيد بن جبير رضي الله عنه: يدخل الرجل الجنة فيقول: يارب أين أبي وجدي وأمي؟ وأين ولدي وولد ولدي؟ وأين زوجاتي؟

فيقال : « إنهم لم يعملوا كعملك »

فيقول : يارب كنت أعمل لي ولهم .

فيقال : « أدخلوهم الجنة »

ثم تلا : **﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ، وقهم عذاب الجحيم ﴾**[(٢)]

﴿ ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ... ﴾[(٣)]

---

(١) ٨ ـ غافر .

(٢) ٧ ـ غافر .

(٣) ٨ ـ غافر .

وقال تعالى : ﴿ **والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم** ﴾ أي مانقصناهم ﴿ **من عملهم من شيء كل امرىء بما كسب رهين** ﴾ [١]

قال ابن عباس رضي الله عنهما : إن الله تعالى ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة ، وإن كانوا دونه في العمل ، لتقرّ بهم عينه ، وتلا هذه الآية .

وبهذا يجمع الله تعالى للمؤمنين في الجنة أنواع السرور بسعادتهم في أنفسهم، وبمزاوجة الحور العين، وبمؤانسة الإخوان المؤمنين، وباجتماع أولادهم ونسلهم بهم .

☆ ☆ ☆

---

(١) ٢١ ـ الطور .

دعـــــاء

﴿ رب اجعلني مقيم الصـلاة ومن ذريتي ، ربنـــا وتقبل دعاء ﴾

﴿ ربنـا اغفر لي ولـوالـديّ وللمـؤمنين يـوم يقـوم الحساب ﴾

﴿ رب اغفر لي ولوالديّ ، ولمن دخل بيتي مؤمناً ، وللمؤمنين والمؤمنات ﴾

﴿ ربنـا هب لنـا من أزواجنـا وذريـاتنـا قرة أعين ، واجعلنا للمتقين إماماً ﴾

﴿ و أصلح لي في ذريتي ، إني تبت إليك ، وإني من المسلمين ﴾

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

الفهرس

رقم الإيداع : ١٩٨٨/٧٩٢٩

طبع بدار النصر للطباعة والنشر
ت : ٩١٨٥٠٠ - ٩٢٧١٦١

الناشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع

القاهرة ص.ب: ١٦١ غورية - ت: ٩٣٥٦٩٤

حلب ص.ب: ١٨٩٣ - هـ: ١٧٧٦٩

بيروت ص.ب: ١٣٥٢٣٧